عقيدة وحدة الوجود عند الصُّوفِيّة

أ.د صالح حسين الرقب

تعريف وحدة الوجود:

وحدة الوجود مذهب فلسفي لا ديني، يقول: بأنَّ الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأنَّ الله تعالى هو الوجودُ الحقُّ، ويعتبرونُه صورةَ هذا العالمِ المُخلوقِ، أمَّا مجموعُ المظاهرِ الماديَّةِ فهي تعلنُ عن وجودِ الله، دونَ أنْ يكونَ لها وجودٌ قائمٌ بذاتِهِ. جاء في المعجم الفلسفي في بيان وحدة الوجود: "أنّ الله لا يوجدُ مُستقلاً عن الأشياء، أو أنَّه نفسُ العالم، والأشياءُ مظاهرُ لذاتِهِ تَصدرُ عنه بالتَّجَلِي، أو تفيضُ عنه مثلُ فيوضِ النُّورِ عن الشَّمسِ".[1]

أي: "أَنَّ وُجُودَ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ هُوَ عَيْنُ وُجُودِ الْحَقِّ، فَمَا ثَمَّ وُجُودَانِ، بَلِ الْمَوْجُودُ وَاحِدٌ... فَفِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ عِنْدَ الْقَوْمِ سِوَى وَلَا غَيْرُ، وَإِنَّمَا السِّوَى وَالْغَيْرُ فِي الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ".[2]

وأساسُ هذا المذهبِ هو الاعتقادُ بأنَّه لا وجودَ إلاَّ لله تعالى، وأنَّ المخلوقاتِ لا وجودَ لها، وإنّما يُنسبُ إليها الوجودَ على سبيلِ المُجازِ، وأمَّا في الحقيقة فلا وجودَ لها مطلقًا. وهذا هو المقصودُ من القولِ بوحدَةِ الوجودِ، فلا موجودَ مطلقًا إلاَّ الله تعالى، أو لا وجودَ مُطلقًا إلاَّ لله تعالى، وما يظهرُ لنَا من ذواتِ موجودةٍ، فإنَّه لا وجودَ لها غيرَ عينِ وجودِ الله تعالى، فهي قائمةٌ بعينِ وجودِه عزَّ اسمُه، ومذهبُ وحدةِ الوجود يستلزمُ أنَّ إثباتَ الوجود مطلقًا لغيرِ الله تعالى إنَّما هو نوعٌ من أنواع الشِّرك، والتَّوحيدُ عندهم إنَّما هو نفيُ الوجودِ عن كلِّ ما سِوَى الله، واعتقادُ أنَّ كلَ السِّوى هو عينُ الله. فتكثُّرُ الوجودِ منفيٌ عندهم، ويتبقَّى وحدةُ الوجود.[3]

ويحاول ابن خلدون شرح فكرة وحدة الوجود، إذ أن هذه التصورات الباطلة عادة ما تكون غامضة ومتناقضة حتى على أصحابها، فيقول ابن خلدون: يعنون بهذه الوحدة أن الوجود له قوى ذاتية فالقوة الحيوانية فيها قوة المعدن وزيادة، والقوة الإنسانية فيها قوة الحيوان وزيادة، والفلك يتضمن الإنسانية وزيادة، وكذلك الذوات الروحانية (الملائكة) ثم القوة الجامعة التي انبثت في جميع الموجودات، فالكل واحد هو نفس الذات الإلهية".[4]

---

[1]– المعجم الفلسفي د. عبد المنعم الحفني، ط1 الدار الشرقية مصر، 1410– 1990، ص380.

[2]– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة الثالثة، 1416هـ–1996م 351/3.

[3]– منح الودود في بيان مذهب وحدة الوجود: سعيد فودة، كلية العلوم الإسلامية، تركيا، طبعة 1423هـ/2002م ص 80.

[4]- المقدمة ص 471.

ويُبَيِنُ هذه العقيدة ابن القيم رَحِمِهُ اللهُ، فيقولُ: "وَأَمَّا الِاتِّحَادِيَّةُ، فَالتَّوْحِيدُ عِنْدَهُمْ: أَنَّ الْحَقَّ الْمُنَزَّهَ هُوَ عَيْنُ الْخَلْقِ الْمُشَبَّهِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ عَيْنُ وُجُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَحَقِيقَتُهُ وَمَاهِيَّتُهُ، وَأَنَّهُ آيَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَهُ فِيهِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَيْنُهُ، وَهَذَا عِنْدَ مُحَقِّقِيهِمْ مِنْ خَطَأِ التَّعْبِيرِ، بَلْ هُوَ نَفْسُ الْآيَةِ، وَنَفْسُ الدَّلِيلِ، وَنَفْسُ الْمُسْتَدِلِّ، وَنَفْسُ الْمُسْتَدَلِّ عَلَيْهِ، فَالتَّعَدُّدُ: بِوُجُودِ اعْتِبَارَاتٍ وَهْمِيَّةٍ، لَا بِالْحَقِيقَةِ وَالْوُجُودِ..".[5]

إنَّ الصُّوفِيَّة دخلت عليهم الفلسفة من باب (التشبه بالإله على قدر الطاقة) فحاولوا إثبات تشبه العبد بالربِّ في الذاتِ والصِّفاتِ والأفعالِ، كما فعل الغزالي ومن تبعه في كتابه "المضنون به على غير أهله".[6] ثمَّ جاء ابن عربي وتلامذته فقالوا بالوحدة المطلقة، لأنَّ الفلاسفة يقولون: الوجود الحقيقي هو للعلة الأولي (الله)، لاستغنائه بذاته، فكلُّ ما هو مفتقرٌ إليه فوجودُه كالخيال. ومن هنا نشأت نظرية "وحدة الوجود" عند ابن عربي، وقد انطلقت ابتداءً ممَّا يردده الصُّوفِيَّة بشكلٍ عامٍ من أن الموجود الحق هو الله سبحانه، ويعنَوَن بذلك أنَّ الموجودات والكائنات إنما هي صور زائفةٌ، ومجرد أوهام، وليست ذاتاً منفصلة قائمة بنفسها، فمثلُها لا يستحق أن يطلق عليه الوجود الحقيقي، ولكنها حرِّفت عند ابن عربي عن مفهومها لدى الصُّوفِيَّة، بحيث انتهى إلى القول بوحدة الوجود، فقال أن الوجود الحقيقي هو الله سبحانه، ولكنَّنا نرى هذه الكثرة والتعدد قائمة أمام أعيننا فلا يمكن إنكارها، ومن ثم فهذه الموجودات كلها ليست سوى الله ذاته – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً– وكلُّها مظهرٌ من مظاهره، وتجل من تجلياته، وليست آية من آياته كما مفهوم أهل السنة فحقيقة الرب إذن أنه وجود مطلق لا اسم له ولا صفة ولا يرى في الآخرة، وليس له كلامٌ، ولا علمٌ، ولا غير ذلك، ولكن يُرى في الكائنات،[7] فكلُّ كائنٍ هو الله، والله هو كلُّ كائن، فاتحد بذلك الوجود مع الخالق المعبود، وتم له ما أراد من هدم صرح التوحيد وكان هذا القول أشدُّ شركاً من قول النصارى، إذ أنَّ الكلَّ في هذا التَّصورِ المريضِ إلهٌ يُعبَدُ.

يقول الصوفي الوجودي عبد الغني النابلسي: "اعلم أنَّ هذه المسألةَ، وهي مسألةُ وحدةِ الوجود، قد أكثرَ العلماءُ فيها الكلامَ قديماً وحديثاً، وردَّها قومٌ قاصرون غافلون محجوبون، وقبلها قومٌ آخرون عارفون مُحَقِّقونَ.. وأمَّا القائلون بها فلأنَّهم العلماءُ العارفون والفضلاء المُحقِّقون أهلُ الكَشْفِ والبصيرةِ، الموصفون بِحُسنِ السِّيرةِ وصفاءِ السَّريرةِ؛ كالشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، والشيخ شرف الدين ابن الفارض، والعفيف التلمساني، والشيخ عبد الحق بن

---

[5]–مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية 3/415–416.

[6]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل 5/82.

[7]– انظر البقاعي في كتابه: تنبيه الغبي 19/40، وابن تيمية في الإيمان الأوسط ص 132، الشوكاني في قطر الولي ص 190.

سبعين، والشيخ عبد الكريم الجيلي، وأمثالهم قدس الله تعالى أسرارهم، وضاعف أنوارهم فإنهم قائلون بوحدة الوجود، وأتباعهم إلى يوم القيامة، إن شاء الله تعالى".[8]

ومن عجب أن الصوفية تعُدُّ عقيدةَ وحدة الوجود حقٌ ثابتٌ، ومخالفها كافرٌ، لا ريب في كفره. فهذا شيخهم عبد الغني النابلسي قد وجَّه في آخر رسالته هذه نصيحة حاصلها أن الجاهل الذي لا يعرف علوم الأذواق، وإنما علمه الذي هو غير عامل به أيضا، مأخوذ من الكتب والأوراق له مندوحة عن الإنكار، وهو تحسين الظن بالله تعالى، والاعتراف بأنهم أعلم منه بالله تعالى، وأنه جاهل بكلامهم، فلا ضرورة له في الإنكار عليهم، مع علمه بكفر من أنكر الحق إجماعا [9]

ونذكر هنا قائمة من أقوال أرباب الصوفية في اعتقادهم "وحدة الوجود":

قول أبي حامد الغزالي بعقيدة وحدة الوجود:

يقول الغزالي: "اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، ولكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علمياً (أي وصل إليها عن طريق الدليل والبرهان) ومنهم من صار ذوقاً وحالا (أي وصل إليها عن طريق الكشف والإلهام)، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، فلم يبق عندهم إلا الله، فسكروا سكراً، وقع دونه سلطان عقولهم، فقال بعضهم: أنا الحق (قائلها طيفور البسطامي)!. وقال الآخر: سبحاني!. ما أعظم شأني (قائلها البسطامي)! وقال الآخر: ما في الجبة إلا الله (قائلها الحلاج)، وكلام العشاق في حال السكر، يطوي، ولا يحكى (يصف الغزال هذه المجوسية الصوفية بأنها هتفات أرواح سكرت بعشق الله، ولم يجد الغزالي ما ينقد به هذه الصوفية – إن عددته نقداً – سوى قوله: وكلام العشاق يطوى ولا يحكى!!. فلمَّا خفَّ عنهم سكرهم، وردُّوا إلى سلطان العقل، عرفوا أنَّ ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل يشبه الاتحاد، مثل قول العاشق في حال فرط العشق:

أنا من أهوى، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا (هذا البيت للحلاج وانظر ص 34 طواسين).[10]

والغزالي يعلمُ أنَّ الحلاَّج حلوليٌ يؤمنُ بثنائية الحقيقة الإلهية، فيزعمُ أنَّ الإلَه: له وجهان، أو طبيعتان هما: اللاهوت والناسوت، وقد حلَّ الأوَّلُ في الآخر. فروحُ الإنسان هي لاهوت الحقيقة الإلهية، وبدنُه ناسوته. فإذا كان الغزالي قد رفض القول بالاتحاد، ودان بما يشبهه، فقد

---

[8]– إيضاح المقصود: عبد الغني النابلسي ص 56.

[9]– كتاب الوجود: عبد الغني النابلسي ص 19.

[10]– مشكاة الأنوار: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، حققها وقدم لها: الدكتور أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ص 57.

آمن بما هو أخبثُ منه، وهو الحلول، بدليل استشهاده بالبيت الذي عبر به الحلاج عن حلوليته دون أن ينتقده ويُكفِّرَ!!. وهو يدافعُ عن هذه العقيدة الفاسدة بقوله: "وتسمَّى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق فيها بلسان المجاز: اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً. ووراء هذه الحقائق أسرار لا يجوز الخوض فيها".[11]

وقال الغزالي: "قال هذا المستغرق بالفردانية أيضاً له نزول إلى السماء الدنيا: فإن ذلك هو نزوله إلى استعمال الحواس أو تحريك الأعضاء. وإليه الإشارة بقوله "صرت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به". فإذا كان هو سمعه وبصره ولسانه، فهو السامع والباصر والناطق إذن لا غيره؛ وإليه الإشارة بقوله: (مرضت فلم تعدني) الحديث".[12]

ولقد لاحظ شيخُ الإسلام ابن تيمية وجودَ إشاراتٍ إلى عقيدة وحدة الوجود عند أبي حامد الغزالي في كتابه (مشكاة الأنوار) تُشجِّعُ الاتحاديين الملحدين الذين قالوا بوحدة الوجود، وقالوا: إنَّ الخلقَ مجالٌ ومظاهرٌ، لأنَّ وجودَ الحقِّ ظهرَ فيها وتجلَّى، فجعلوا نفسَ وجودهِ نفسِ ظهورِهِ وتجليَه في المخلوقات.[13]

وقسَّم الغزالي التَّوحيد إلى أربع مراتب، والمرتبة الرابعة منها: هي توحيد وحدة الوجود، يقول عن المراتب الأربعة:-

1- من قال لا إلهَ إلاَّ الله بلسانه وقلبه غافل، وهو توحيد المنافقين.

2- أنْ يُصدِّقَ بمعنى اللفظ، وهو اعتقادُ العوام، وذلك كتصديقِ عامَّةِ المسلمين.

3- أنْ يشاهدَ ذلك بطريقة الكَشْف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين، ويرى الأشياء الكثيرة على أنَّها صادرةٌ عن الله الواحد.

4- أنْ لا يرى في الوجود إلا واحداً، وهي مشاهدةُ الصديقين، فلا يرى الكلَّ من حيث أنَّه كثيرُ، بل من حيث أنَّه واحدٌ، وهي الغاية القصوى في التَّوحيد. وقال عن المرتبة الرابعة أنَّه من وصل إليها يجبُ كتمُ السِّرِ، وأنَّه لا يجوزُ أنْ يُسطَّرَ في كتابٍ، لأنَّ إفشاءَ سرِّ الرُبوبيَّةِ كفرٌ.[14]

---

[11]- مشكاة الأنوار: أبو حامد الغزالي ص 58.

[12]- مشكاة الأنوار ص61.

[13]-انظر درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام بالرياض، ط 1، 1401هـ/1981م، 283/10.

[14]- انظر إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار الفكر، بيروت، 212/4.

ويقول: "لا إله إلا الله" توحيد العوام، "ولا إله إلا هو" توحيد الخواص، لأنَّ هذا أتمُّ وأخصُّ، وأشملُ وأحقُّ، وأدقُّ وأدخلُ بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة. ومُنتَهَى مِعرَاجِ الخلائق مملكة..".[15]

ويقول أيضاً: "ليس في الوجود سوى الله وصفاته وأفعاله".[16] ويقول الغزالي: "جميع الموجودات مرآة للوجود الحق، فالظاهر بذاته هو الله سبحانه، وما سواه فآيات ظهوره ودلائل نوره.[17]

قول ابن عربي في وحدة الوجود:

يتلخص مذهب ابن عربي في وحدة الوجود في إنكاره لعالم الظاهر، ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلاَّ لله، فالخلقُ هم ظلٌ للوجود الحق، فلا موجودَ إلاَّ الله فهو الوجود الحق. فابن عربي يقرر أنه ليس ثمة فرق بين ما هو خالق وما هو مخلوق، ومن أقواله التي تدل على ذلك: "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها". وكان يقول ابن عربي: "من أسمائه الحسنى العلي، على من يكون علياً، وما ثم إلاَّ هو؟! وعمَّاذا يكون عَلياً وما هو إلاَّ هو؟! فعلوّه لنفسه، وهو من حيثُ الوجود عينُ الموجودات؛ فالمُسمَّى محدثات هي العلية هي لذاتها، وليست إلا هو".[18]

يقول ابن عربي: "فإنَّ للحق في كلِّ معبودٍ وجهاً، يعرفُه من يعرفُهُ، ويجهلُه من يجهلُه، (وقضى ربك ألا تعبدوا إلاَّ إياه)، أي حكم، فالعالمُ يعلمُ من عَبَدَ، وفي أيِّ صورةٍ ظهرَ حتَّى عُبِدَ، وإن التَّفريقَ والكثرةَ كالأعضاء في الصُّورةِ المحسوسة والقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عُبِدِ غيرُ اللهِ في كلِّ معبودٍ".[19]

ويقول: "ومن عرف ما قررناه في الأعداد، وأنَّ نفيها عين إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق. فالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق. كل ذلك من عين واحدة، لا، بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة. فانظر ماذا ترى (قال يا أبت افعل ما تؤمر)، والولد عين أبيه. فما رأى يذبح سوى نفسه. وفداه بذبحٍ عظيمٍ، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان. وظهر بصورة ولدٍ: لا، بل بحكم ولدٍ من هو عين الوالد، (وخلقَ منها زوجَها): فما نَكَحَ سِوَى نفْسَه.[20]

---

[15]– مشكاة الأنوار: أبو حامد الغزالي ص 61.

[16]– السابق 330/1.

[17]– معارج القدس للغزالي ص5.

[18]– فصوص الحكم ص 76.

[19]– فصوص الحكم ص 72.

[20]– فصوص الحكم ص78.

ويقول: "فما يُحدُّ شيءٌ إلاَّ وهو الحقُّ، فهوَ السَّاري في مُسمَّى المخلوقات والمُبدِعاتِ، ولو لم يَكُنْ الأمرُ كذلك ما صُحَّ الوجود. فهو عينُ الوجودِ، "وهو على كُلِّ شيءٍ حفيظٌ" بذاته، "ولا يؤده" حفظ شيء. فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه لصورته أن يكون الشيء غير صورته. ولا يصحُّ إلاَّ هذا، فهو الشاهد من الشاهد والمشهود من المشهود،، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له، فهو الإنسان الكبير".[21]

ويقول مبيناً وحدة الوجود، وأن الله يحوي في ذاته كل المخلوقات:-

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلق جامع

تخلق ما لا ينتهي كونه فيك فأنت الضيّق الواسع

وحين يرد السؤال: كيف يقال بوحدة الوجود؟ وهناك خالق ومخلوق ومؤمنون وكفار والكفار يعذبون في النار فمن الذي يعذبهم؟ وحتى لا يرد هذا السؤال راح ابن عربي يحرِّف كل آيات القرآن الكريم، ويطبق باطنيته وكفره في كتاب (فصوص الحكم) فمثلا بقول: فموسى عليه السلام لم يعاقب هارون عليه السلام إلا لأن هارون أنكر على بني إسرائيل عبادة العجل، وهم ما عبدوا إلا الله لأن الله قضى ألا نعبد إلا إياه، ولذلك كان موسى أعلم من هارون.[22] والريح التي دمَّرت عاد هي من الراحة لأنها أراحتهم من أجسامهم المظلمة وفي هذه الريح عذاب وهو من العذوبة.[23]

أقوال تلاميذ ابن عربي القائلين بوحدة الوجود:

وقد بالغَ تلاميذُ ابن عربي في القولِ بوحدةِ الوجودِ، وتعرضوا لهذا المذهب في أشعارهم، وأقوالهم ومؤلَّفَاتِهم. ومن هؤلاء: ابن الفارض، وابن سبعين، والتلمساني. وعبد الكريم الجيلي، والقونوي، والتلمساني.

1- وحدة الوجود عند ابن الفارض:

هو عمر بن أبي الحسين علي بن المرشد بن شرف الدين الحموي الأصل المصري، وكان من شعراء العصر العباسي المتصوفين، وهو شيخ الاتحادية، وصاحب القصيدة التائية المليئةُ بالكفر والزندقة والإلحاد، الطافحةُ بوحدة الوجود.

وابن الفارض يعد من مجدِّدي القولِ بِوحدة الوجود، بل طوَّرها وأخرَجها في ثوبٍ جديدٍ. وهذه العقيدة تقتضي أنَّ كلَّ ما في الكون من خلائق هي عين الخالق – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً– ففيها يصيرُ العبدُ رباً والمخلوقُ خلاَّقاً، ولكن ابن الفارض هذا طورَّها، ولخص هذه

---

[21]– فصوص الحكم، طبعة الحلبي ص 111.

[22]- البقاعي ص 120 نقلاً عن فصوص الحكم، فص 192.

[23]- المصدر السابق ص 95، فص رقم 109.

العقيدة كلَّها في ذاته، هو ولم يفرق بين الصَّحوِ والمِحوِ.[24] حيث صرَّح بأنَّه في حالةِ الصَّحوِ والمِحوِ يؤمنُ بالاتحاد، وأنَّ الله عَينُ خلقِه. قال:

ففي الصَّحوِ بعدَ المَحْوِ لم أك غيرها ... وذاتي بذاتي إذا تَحلَّتْ تَجَلَّتِ[25]

وقد صرَّح بأنَّه عاهدَ الحقَّ حين بايَعَهُ أَنْ يَهتِكَ كُلَّ سِترٍ، ويَحلَّ كلَّ أُنشوطةٍ، حتى يرَى كلُّ ذِي بَصَرٍ أنَّ ذاتَ الحقِّ هي عينُ ذاتِ الخلق.[26] يقولُ في ذلك:

إليَّ كمْ أواخي الستَرَ ها قد هتكتَهُ ... وحلَّ أُواخِّي الحجبُ في عقد بيعتي[27]

وأيضاً فإنَّ ابن الفارض قد اعترف بأنَّ ما قالَه موجب لإراقة دمِهِ، وأنَّه قال في حالة الصَّحوِ والإفاقة، لا في حالة السُّكر والغيبة، وأنَّه قد أظهرَ تلك الأسرارِ من أباحَ دمَهَ للمحجوبين، الذين يقتلون العارفين الدين أباحوا بأسرارِ التَّوحيد.[28] يقول في ذلك:

وثَمَّ أمورٍ تَمَّ لي كشفُ سرِّها..... يصحو مفيقٌ عن سواي تغطَّت

بها لم يَبُح من لم يَبُح دمُه وفي إلاَّ... الإشارة معنى ما العبارةُ حدَّت.[29]

وأيضاً: فإنَّ ممَّا يؤكِّدُ أنَّ الوحدةَ التي ذهب إليها ابن الفارض هي وحدةُ الوجود التي ذهب إليها ابن عربي وغيرهُ من ملاحدةِ الصُّوفِيَّة أنَّ النتائجَ المترتبةَ على وحدته هي نفس النتائج المترتبة على وحدة ابن عربي وغيره من الصُّوفِيَّة، ومن هذه النتائج: وحدةُ الأديان،[30] والحقيقةُ المُحَمَدِيَّة،[31] وتجسدُ الإله في المرأة.

يقول الدكتور عبد القادر محمود: نقفُ موقفَ الشكِّ في أنَّ ابن الفارض كان يدعو إلى وحدة شهود فقط، بل كان يدعو أيضا وإلى حدٍ كبيرٍ إلى وحدة الوجود، بدليل اتساقِهِ الكامل مع نتيجةِ وحدة الوجود، وهي وحدة الأديان. يقول ابن الفارض:

---

[24]– هما مصطلحان في دين الصوفية: **فالصحو**: هو رجوع الصوفي إلى الإحساس بعد سكرته بوارد قوي وفيه يشهد الصوفي الفرق بين الإله والكون وأن الكون ليس هو الذات الإلهية. و**أما المحو**: فهو فناء السوية بين الرب والعبد وتجلي الوحدة المطلقة فيرى الصوفي الخلق عين الحق والمربوب عين الرب وهذه حالة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

[25]– ديوان ابن الفارض ص 101.

[26]– هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل – بتصرف– ص 27.

[27]– ديوان ابن الفارض ص 97.

[28]– مصرع التصوف للبقاعي – بتصرف– ص 246.

[29]– ديوان ابن الفارض ص 114.

[30]– ستعرض في الصفحات القادمة ضمن هذا الفصل من البحث.

[31]– الحقيقة المحمدية: هي الذات مع التَّعيُّن الأول، وهي اسم الله الأعظم. انظر التعريفات للجرجاني ص 95، تعتقد الصوفية أنَّ محمد عليه الصلاة والسلام هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها، انظر معتقدهم بالتفصيل: هذه هي الصوفية للوكيل ص 74–84.

وإن عَبدَ النَّارَ المجوسُ وما انْطَفَتْ ... كما جاء في الأخبار ألفَ حِجَّةٍ
فما قصدوا غَيري وإنْ كان قصدُهم ... سواي وإنْ لم يظهروا عقدَ نيَّةِ[32]

ويضيفُ: "خلاصة الموقف مع ابن الفارض أنَّه متسق مع أستاذه ابن عربي في صلب المذهب ونتائجه، ولا عبرةَ بغموض موقفه في وحدة الوجود، فقد وصل الى نتائجها في وضوحٍ واتساقٍ".[33]

ومن الغريب أنَّ أحدَ المدافعين المُحدَثين عن ابن الفارض[34] قد صرَّحَ بأنَّ أشعارَ ابن الفارض يُشتمُّ منها رائحةَ وحدة الوجود، وأنَّ فناءهَ ينتهي به ليصبحَ من فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، وبأنَّ الربَّ هو عينُ الوجود، أو أنَّ وجود الربِّ هو عينُ وجود العالم، وأنَّ ابن الفارض فيما عبَّر به عن هذه الوحدة لم يكن بدعاً من الصُّوفِيَّة، وإنَّما كان مثلُ كثيرٍ منهم، يرى ما يرَونَ من وحدة الربِّ والعبد، ووحدة الحق والخلق.

ونذكر هنا طائفة من أشعار ابن الفارض التي يصور فيها مذهبه ومعتقده في وحدة الوجود، قوله:

جَلَتْ في تَجَليّها الوجودَ لناظري ... ففي كلِّ مَرئي أراها برؤيةٍ
وأشهدتُ غَيْبَتي إذ بَدَتْ فَوجدتَنِي ... هنالك إيَّاها بجلوةِ خَلْوَتي
ففي الصَّحوِ بعد المَحوِ لم أَكُ غيرها... وذاتي بذاتي إذا تَحلَّت تَجَلَّت[35]

في هذه الأبيات يذهب ابن الفارض إلى وحدة الوجود، فهو يقول: إنَّ المحبوبة (وهي هنا الذات الإلهية) في حال تجليّها وظهورها قد أظهَرَت لعينه الوجودَ، فأصبح يراها في كلِّ مظهرٍ من مظاهرِ الوجود. وأنَّه حين كُشف عنه الحجابُ شهدَ أنَّ ذاتَه عينُ ذاتِ المحبوبة، وقد مُحِيَ وجودُه في شهودِه. فالربُّ – تعالى عمَّا يقول– إذن عند ابن الفارض هو عين الوجود، فما ثَمَّ من شيءٍ إلاَّ وهو الله، إذ هو الظاهر في كل موجود. وهذا الاعتقاد الذي ذهب إليه ابن الفارض لم يكن في حالة المَحوِ والسُّكر والغَيبة فقط، بل في حالة الصَّحْوِ أيضاً، فليست ثمَّة سوى ذاته هو في الحالين.

– وقوله: فوصفيَّ إذ لم تُدعَ باثنين وصفُها ... وهيئتُها إذ واحدٌ نحن هيِّئْتي
فإنْ دُعيتُ كنتُ المجيبَ وإن أكَن ... مناديَ أجابَت من دعاني ولبَّت
وإنْ نَطَقَتْ كُنْتَ المناجيَ كذاك إنْ ... قَصَصْتُ حديثاً إنَّما هي قصَّت[36]

---

[32]– الفلسفة الصوفية في الإسلام ص 531، والبيتان من ديوان ابن الفارض ص143.

[33]– المصدر السابق ص 532.

[34]– هو الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه "ابن الفارض والحب الإلهي" ص 207.

[35]– ديوان ابن الفارض ص 101.

[36]– ديوان ابن الفارض ص 101–102

ومعناه: إنَّ كلَّ ما وصفَ الله به نفسَه فهو – أي ابن الفارض– الموصوفُ به على الحقيقة، لأنَّه الوجودُ الإلهيُ في أزليته وأبديته. وإن دُعيَ الله أجابَ هو أنَّه عينُه وذاتُه، وإن كان هو المنادى لبى الله، لأنَّه اسمُه ومسماهُ، وإنْ نطق الإلهُ كان ابن الفارض نفسه المجيبُ، وإنْ قصَصَ ابن الفارض حديثاً كان الله نفسه هو القاصُّ، لأنَّ ذات الله هي ذات ابن الفارض.

– قوله : فقد رُفِعَت تاءُ المخاطب بيننا ... وفي رَفْعِها عن فُرقَةِ الفرقِ رِفْعَتي[37]

يؤكِّد ابن الفارض في هذا البيت أنَّ تاءَ المخاطب رُفعَت بينَه وبينَ الحقِّ تعالى، فالخطابُ صادرٌ منه إليه، والدعاء متوجهٌ منه إليه، فهو إذاً لا يخاطبُ غيرهَ، فهو نفسه وذاته.

– وقوله: ومن أنا إيَّاها إلى حيث لا إلى ... عَرَّجتُ وعطَّرتِ الوجودَ برجعَتِي

وعن أنا إيَّايَ لباطنِ حكمةٍ ..... وظاهرِ أحكامٍ أُقِيَمت لدعوتي[38]

وما زلتُ إيَّاها وإيَّاي لم تزلِ ... ولا فرقَ بل ذاتي لذاتي أَحبَّت [39]

إنَّ قول ابن الفارض في هذه الأبيات يتشابهُ إلى حد بعيد مع قول الحلَّاج الحلولي "أنا من أهوى، ومن أهوى أنا"، ومع قوله: "أنا الحق". وهذا يدلُّ على أنَّ أئمةَ الصُّوفِيَّة يسيرون على نهجٍ واحدٍ من القول بالحلول والاتحاد.

وقوله: لها صلواتي بالمقام أُقِيمُها ... وأشهدُ فيها أنَّها ليَ صلتِ

كلانا مُصلٍ واحدٌ ساجدٌ إلى ... حقيقتِه بالجمع في كلَّ سُجدةِ

وما كان لي صلَّي سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أَداءِ كلِّ ركعة[40]

يبين ابن الفارض في شعره هذا أنَّه هو نفس الذات الإلهية، حتى إنَّ صلاته لم تكن إلاَّ لها، وكلاهما المُصلى والمُصلَّى لها. وإذا كان ابن الفارض يؤمن بمذهب الاتحاد العام، فإنَّا نراه يبيَّنُ أنَّ الذات الإلهية تعيَّنت في صور النساء العاشقات. يقول في ذلك ابن الفارض:

وصَرِّح بإطلاقِ الجمال، ولا تقلْ ... بتقييدهِ مَيلاً لزُخرفِ زينةِ

فكلُّ مليحٍ حسنُه من جمالها ... معار له بل حسنُ كُلَّ مليحةِ

بها قيسُ لبني هامَ بل كلُّ عاشقٍ ... كمجنونَ ليلى أو كُثَيِّرِ عزةِ

فكلُّ صَبا منهم إلى وَصفُ لَبْسِها ... بصورةِ حسنٍ لاحَ في حُسْنِ صورةِ

وما ذاك إلاَّ أن بَدَت بمظاهرٍ .... فظنَّوا سواها وهيَ فيها تَجلَّتِ

بدَت باحتجابٍ واختفت بمظاهرَ على صبغِ التلوين في كلَّ بَرْزَةِ

– ويقول: وتظهرُ للعشَّاق في كل مظهر ... من اللبلس في أشكال حسن بديعة

---

[37]– المصدر السابق ص 104.

[38]– المصدر السابق ص 109.

[39]– المصدر السابق 105.

[40]– المصدر السابق ص 97.

ففي مرةٍ لبني.. وأخري بثينةِ ..... وآونةٌ تُدْعى بعزةِ عزةِ
ولسنَ سواها ولا أكُنَّ غيرها .... وما إنْ لها في حُسْنِها من شريكةِ
كذلك بحكمِ الإتحاد بحسنها ... كمّالِيَ بدَت في غيرها وتَزَيَّتِ
بدوتُ لها في كُلِّ صَبٍ مُتَيَمٍ ..... بأي بديع حسنه وبأيَّةِ [41]

وأيضاً فإنَّ الإله عند ابن الفارض يظهرُ في صور العشاق من الرجال. يقول في ذلك:

ففي مَرةٍ قَيساً وأخرى كُثيراً ... وآونةٌ أبدو جَميلَ بُثينَة
تجَلَّيُتُ فيهم ظاهراً واحتجبت با..... طناً بهمُ فأَعْجَبُ لكشفٍ بسترة[42]

ولقد أصرَّ ابن الفارض على الثبات على عقيدة الاتحاد، فأخذ يدعو على نفسه بالعودة إلى مرتبة العبودية، حيث يؤدي الصلاة والصوم والاعتكاف، ويهذبُ نفسَه بالزهد والعزلة إنْ هو تحوَّل يوماً عن عقيدة الاتحاد، أو إنِ ادعى الحلول.[43]

يقول في ذلك: رجعتُ لأعمالِ العبادةِ عادةً ... وأعدَدْتُ أحوالَ الإرادةِ عُدَّتي
وعدتُ بنسكي بعد هَتكي وعُدتُ من ... خَلاَعةِ بَسطَتي لانقباضي بعفةِ
وصمتُ نهاري رغبةً في مثوبةِ ..... وأحييتُ ليليَ رهبةً من عقوبةِ
وعمَّرتُ أوقاتي بوردٍ لواردِ ... وصمتُ لسَمْتٍ واعتكَافٍ لحُرمةِ
وبنتُ عن الأوطان هجرانَ قاطعٍ ... مواصلة الأخوان واخترت عُزلَتي
ودقَّقتُ فكري في الحلالِ تَوَرُعاً ... وراعيتُ في إصلاحِ قُوتي قُوتي
وأنفقتُ من يسرِ القناعةِ راضياً ... من العيشِ في الدنيا بأيسرَ بُلغةِ
وهذَّبتُ نفسي بالرياضة ذاهباً ... إلى كشفِ ما حُجب العوائد غَطَّتِ
وجَرَدْتُ في التجريد عَزمِيَ تَزهداً ... وآثرتُ في نسكي استجابةَ دَعوتي
متَّى حِلَّت عن قولي: أنا هي أو..... أقل وحاشا لمثلي أنَّها فيَّ حلَّت[44]

ولقد أراد ابن الفارض أنَّ ينفي عن نفسه القول بالحلول، فأثبت أنَّه اتحادي لا حلولي، واستدلَّ على اتحاديته بالحديث الشريف الذي استدلَّ به الصُوفِيَّة الاتحاديةُ كابن عربي ونحوَه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم حكايةً عن ربِّه: "لا يزالُ العبدُ يتقرَّبُ إليَ بالنوافل حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنْتُ سمعَهَ الذي يسمع به.... إلى آخر قوله"، كما شبَّه اتحادَه بما حصل من أمر جبريل عليه السلام حين ظهوره في صورة دحية الكلبي.

---

[41]- المصدر السابق ص 103-104

[42]- المصدر السابق ص 100.

[43]- انظر مصرع التصوف للبقاعي ص 233، وانظر هامش نفس الصفحة، والصفحة التي بعدها.

[44]- ديوان ابن الفارض ص 105-106.

يقول: وجاء حديثٌ في اتحادي ثابتٌ ... روايته في النقل غيرُ ضعيفة

يشير بحبِّ الحقِّ بعد تقرُّبٍ ... إليه بنفلٍ أو أداءِ فريضةِ

وموضعُ تنبيهُ الإشارة ظاهرٌ ... بكُنتُ له سمعاً كَنَورِ الظهيرةَ

وها دِحيةُ وافى الأمينَ نبيَّنا ... بصورتِه في بِدْءِ وحيِ النبوة

أجبريلُ قلْ لي كان دحيةُ إذا بدَا ... لمهديِّ الهُدى في هيئةٍ بشريةٍ[45]

يرى مَلكاً يُوحىَ إليهِ وغيرِه ... يَرى رَجُلاً يُدْعَى لديه بصحبةٍ

ولِيَ من أتمِّ الرؤيتين إشارةٌ ... تُنَزِّهُ عن رأي الحلول عقيدتي[46]

تلك هي بعض أشعار ابن الفارض التي نفثَ فيها عقيدةَ الاتحاد ووحدة الوجود التي اتَّخَذَها عقيدةً ومذهباً، وبسببها حكمَ عليه كثيرٌ من العلماء بالكفر والزندقة، وقد نقلَ العلاَّمةُ برهان الدين البقاعي[47] أقوالَ طائفة من العلماء الدين أفتَوا بكفره وزندقته،[48] ثمَّ عقَّب على ذلك بقوله: "هذا مستندُنا، وهو قطعيٌ من جميع وجوهه، تواترَ لنا تواتراً معنوياً نسبةُ العلماء له الى الكفر، وتواتراً حقيقيً أنَّ التائيةَ نظمُه، ونحنُ على القطْعِ بأنَّها صريحةٌ في القول بالاتحاد بالذات والصفات – وما يتبع ذلك من تصويب جميع الملل والنحل– إن لم يكن نصًا فيه، وعلى القطعِ بأنَّ ذلك كفرٌ، والقائل به كافرٌ، وقد انتقيتُ من التائية ما يقاربُ أربعمائة وخمسين بيتاً شهدَ شُراحُها البررةُ والكفرةُ أنَّ مرادَه منها صريحُ الاتحاد، وما تفرَّع عليه من تصويب جميع الأباطيل في مجلد سَمَيتُهُ الفارض[49]".[50]

2- وحدة الوجود عند ابن سبعين:

ابن سبعين هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الإشبيلي المرسي، من صوفية الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود. ومن كتبه: الحروف الوضعية في الصور الفلكية، وأسرار الحكمة المشرقية، والنصيحة وتسمى (النورية) وكتاب رسائل ابن سبعين، وكفَّره كثيرٌ من الناس. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية. قال ابن دقيق العيد: "جلست مع ابن

---

[45]– المصدر السابق ص 142.

[46]– المصدر السابق ص 106.

[47]– هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، أبو الحسن البقاعي الشافعي، ولد بالبقاع اللبناني سنة 809هـ، توفي بدمشق سنة885هـ، محدث، مفسر، مؤرخ. من تصانيفه: المناسبات القرآنية، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، تنبيه الغني إلى تكفير ابن عربي، الفارض في تكفير ابن الفارض، تحذير العباد من أهل العناد. انظر شذرات الذهب 339/7، البدر الطالع 19/1، الضوء اللامع101/1–111.

[48]– انظر مصرع التصوف: صفحات متعددة منه.

[49]– للبقاعي كتاب في بيان كفر ابن الفارض سماه: الفارض في تكفير ابن الفارض.

[50]– مصرع التصوف ص207.

سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته. وقال الذهبي : "اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: "لقد تحجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبيّ بعدي". وكان يقول في الله عزَّوجلَّ: "إنه حقيقة الموجودات"، وقَصدَ بمكة، فتركَ الدَّمَ يجري حتَّى مات نزفًا.[51]

يقول ابن سبعين في الرسالة النورية مخاطباً تلميذه: "وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به، ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك سمه به، من اسمه (الوجود) كيف يخص بأسماء منحصرة؟ هيهات! الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض، فإن قلت: نسميه بما سمى به نفسه أو نبيه، يقال لك: من سمى نفسه (الله) قال لك: أنا كل شيء، وجميع من تنادي أنا. وقد يصعب عليك هذا فعسى أن تسلم أنه معك بالعلم والفعل، فإذا سلمت هذا تسلم أن الذي استجاب لك هو الوجود، فإذا سلمت ذلك فعجل بذلك، ولا تكن كذلك فما يحق لك ذلك؛ يا هالك يا مالك انظر من حالك وقل بعد ذلك: يا حق يا أبد يا راحم يا أحد يا أكبر يا واجب الوجود، الذي الوجود ووحدته واحد، يا ماهية كل ماهية، يا آنية كل آنية.. لا شيء عندي إلا أنت.. لأن الكذب لا يجوز على الله ولا مع الله، ولا شيء أكذب من لسان الإضافة، ولا شرك أقبح من شركها... ولا يعتبر المحقق في ذلك إلا الله، وبد البد، والهو هو".[52]

يعني بقوله: (لسان الإضافة) إضافة شيء إلى الله، مثل (عبد الله، أو مخلوقات الله...) أو إضافة الله إلى شيء، مثل: (خالق الكون..) لأن الإضافة تعني الاثنينية، أي: وجود اثنين، خالق ومخلوق وهذا عند الصوفية كذب وشرك لأنه لا موجود إلا الله، والكون هو الله.[53]

ويقول في إحدى رسائله: "واضرب عن الوهم والحس والخيال والعادة، واخرج عن لواحقك ومحمولك وموضوعك... واطلب واحدك بوحدتك، واخرج عن وترك الخاص بك كما خرجت عن شفعك التابع لك، حتى يبقى الواحد".[54]

وكان ابن سبعين يقول هو وأصحابه في ذكرهم: (ليس إلا الله) بدل قول المسلمين: (لا إله إلا الله).[55]

---

[51]– الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، مايو 2002م 280/3.

[52]– رسائل بن سبعين ص 184.

[53]– الكشف عن حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ ص 158.

[54]– رسائل بن سبعين ص 261.

[55]– ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص 167.

ويقول في أحد الفصول التالية: (ملاحظات على بد العارف): "يا هذا، غُضْ بصرَ إدراكِك عن غير الله، ثم قل لنفسك: يا خسيسة المنزلة، متى ثبت سواه؟ حتى تستريبي فيه وتغضي بصرك عنه! هو الله.. فلا هو إلاَّ هو، ولا يمكن غير ذلك".[56]

ويقول: "لو كان فيهما موجود غير الله لكان الله، وبالوهم لفسدت...". [57]

ويقول شعرًا:

كم ذا تموّه بالشعبين والعلم والأمر أوضح من نار على علم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة وعن زرود وجيران بذي سلم
ظللت تسأل عن نجد وأنت بها وعن تهامة هذا فعل متهم
في الحي حي سوى ليلى فتسأله عنها سؤالك وهم جر للعدل[58]

ويقول:

ليس من فوه بالوصل له مثل من سير به حتى وصل
لا ولا الواصل عندي كالذي قرع الباب وللدار دخل
لا ولا الداخل عندي كالذي سارروه وهو للسر محل
لا ولا من سارروه كالذي صار إياهم فدع عنك العلل
فمحوه عنه فيهم فانمحى ثم لما اثبتوه لم يزل
ذاك شيء علق القلب به لو تجلى ذاك للخلق قتل[59]

ويقول في (رسالة الإحاطة): "رب مالك وعبد هالك، ووهم حالك، وحق سالك، وأنتم ذلك! اختلط في الإحاطة الزوج مع الفرد، واتحد فيه النجو مع الورد، واتفق فيه السقر مع القر، وبالجملة السبت هو يوح الأحد، والموحد هو عين الأحد، ويوم الفرض هو يوم العرض، والذاهب من الزمان هو الحاضر، والأول في العيان هو الآخر، والباطن في الجَنَان هو الظاهر، والمؤمن في الجِنان هو الكافر، والغني هو الولي، والفقير هو الغني، وهذه وحدات حكمية، لا أحداث وهمية".[60]

يريد بقوله: (عبد هالك) أي: لا وجود للعبد؛ والنجو هو الغائط.

ويقول في إحدى رسائله: "الله فقط، الله المستعان والمستعين، والإعانة معنى فيه في كونه معيناً ومستعيناً، والحمد لله في الأزل والأبد ولي المجد، ومن هو بهما عين الحامد والحمد...

---

[56]– رسائل بن سبعين ص 257.

[57]– رسائل بن سبعين (كتاب فيه حكمٌ ومواعظٌ).

[58]– ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص 129.

[59]– المصدر السابق ص 167.

[60]– رسائل بن سبعين ص 143.

ولا حول ولا قوة إلا بالساري بذاته في أفعاله عن أسمائه بصفاته، أحب فتسمى بالحي، وأحاط فتسمى بالعالم... هو عين كل ظاهر، فَحُقَّ له أن يتسمَّى بالظاهر، وهو معنى كل معنى فحُقَّ له أنْ يتسمَّى بالباطن".[61]

ويقول في رسالة ثانية: "استمع لما يوحى ويستقرا... من أبصر مقصوده كف عن سواه، لأنه سواه، وشرط من سري واستوى قطع وهم السوى، فمن قربه الله يقول: الله فقط... ويحرر قضيته البسيطة بإطلاق الهوية على الآنية".[62]

والمراد بالهوية من قولهم: (هو) إشارة إلى الله سبحانه، وبالآنية إشارة إلى المخلوقات التي هي تعينات.

يلاحظُ من أقوال ابن سبعين متابعة لشيخه ابن عربي في مذهب وحدة الوجود: ويؤكد ابن سبعين أن هذه الموجودات ليس لها وجودٌ حقيقيٌ، فوجودُها وهمٌ، وليس ثمَّةَ فرقٌ بين الخلقِ وبين الحقِّ، فالموجودات هي الله!! وهذا القول منه موافق لأصله الفاسد في أن وجود المخلوقِ هو وجود الخالق، كما قال في (رسالة الإحاطة): "رب مالك وعبد هالك، ووهم حالك، وحق سالك، وأنتم ذلك!". "وأنتم ذلك"، فإنَّه جعل العبدَ هالكًا، أي لا وجودَ له، فلم يبق إلاَّ وجودُ الرَّبِّ، فقال: وأنتُم ذلك، وكذلك قوله: "الله فقط، والكثرة وهم، فإنَّه على قوله لا موجودَ إلاَّ الله، ولهذا كان يقولُ هو وأصحابه في ذكرهم: (ليس إلاَّ الله)، بدلَ قولِ المسلمين: (لاَ إلهَ إلاَّ الله).[63]

3- وحدة الوجود العفيف التلمساني:

وهو كما يقول الإمام ابن تيمية من أعظم هؤلاء كفراً، وهو أحذقهم في الكفر والزندقة. فهو لا يفرق بين الكائنات وخالقها، إنما الكائنات أجزاء منه، وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر، وأجزاء البيت من البيت، ومن ذلك قوله:

البحر لا شك عندي في توحده وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب ساري العين في العدد
فما البحر إلا الموج لا شيء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد
أحن إليه وهو قلبي وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه
ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري وما بعده إلا لإفراط قربه

---

[61]– المصدر السابق ص 190.

[62]– المصدر السابق ص23.

[63]– مجموع الفتاوي: ابن تيمية 306/2.

يلاحظ من أقوال وأشعار العفيف التلمساني أنَّ الوجودَ واحدٌ، وليس هناك فرق بين الخالق والمخلوق، بل كل المخلوقات إنما هي لله ذاته. وقيل للتلمسانى وقد أشاروا له إلى كلب أجرب ميت، هو ذات الله أيضاً، فقال: "وهل ثمَّ شيء خارج عنها؟".

4- وحدة الوجود عند أبي يزيد البسطامي:

هو طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، توفي سنة 261هـ، وقد لُقب بسلطان العارفين من أهل القرن الثالث الهجري، ترك بصمةً كبيرةً في التَّصَوُف الفلسفي، على الرغم أنه لم يترك أي كتب أو مؤلفات، لكن اتبَّعه العديدُ من تلامذة الصوفية والمقلدين.[64]

يقول عن الله تعالى: "رفعني مرة فأقامني بين يديه. وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعنى إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا".[65]

ومعناه أنه يطلب أن يصوره الله على صورته عز وجل تماماً، فإذا شاهده الناس قالوا: شاهدنا الله، والرواية عنه هي كما تقدم إلا أني أرى أن هذه العبارة: "إن خلقي يحبون أن يروك" ليست هكذا – ولم أر أحد بين هذا– ولكن لعل الصواب فيها "إن خلقي يحبون أن يروني"، ولهذا بين أبو يزيد كيفية الطريقة التي يمكن أن يرى الخلق فيها ربهم، وذلك بأن يرقى البسطامي إلى حد النيابة التامة عن الله تعالى صفة وشكلاً– تعالى الله عما يقولون علو كبيراً. ويقول أبو يزيد البسطامي: "طلبت الله سبعين سنة فإذا هو أنا"! وله مزاعم غيرها – يعتمدونها. وقوله عن نفسه: "سبحاني.. سبحاني.. ما أعظم شأني".[66]

وقال مرة: "سبحاني.. سبحاني.. ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش.. واجتاز بمقبرة لليهود فقال: "معذورون"، ومرّ بمقبرة للمسلمين، فقال: "مغرورون.. وقال: يخاطب الله: كنت لي مرآة فصرت أنا المرآة".

وقال: "لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة.. وقال: إلهي أن كان في سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي فيها –أي النار– حتى لا يسع معي غيري. وقال: ما النار؟ لاستندن إليها غداً، وأقول: اجعلني لأهلها فداء أو لأبلغنها، ما الجنة؟ لعبة صبيان".

---

[64]– طبقات الصوفية: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى، 1419هـ 1998م ص 67. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت– 532/2.

[65]– اللمع للطوسي ص461.

[66]– تهذيب كتاب النقشبندية –عرض وتحليل– : عبد الرحمن دمشقية ص66–68.

ونُقِلَ أنَّ أبَا يزيد البسطامي دخل مدينةً فتبعَه منها خلقٌ كثيرٌ، فالتفت إليهم، وقال: "(أنا الله لا إله إلاَّ أنا فاعبدوني) فقال الناس: لقد جن أبو يزيد وتركوه".[67] وأنَّ طارقاً طرق بابَه، فقال البسطامي: من تطلب؟ فقال: أبَا يزيد، فأجابَه: "ما في البيت غير الله".

وقال: "خرجت من الله إلى الله، حتى صاح مني في: يا من أنا أنت". وقال: "سبحاني ما أعظم شاني".[68]

5- أبو بكر الشبلي:

الشبلي له من الشَّطحات ما نذكر بعضه فيما يلي: أخذ من يد إنسان كسرة خبز فأكلها فقال: "إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز، ولو التفت سري إلى العرش والكرسي لاحترق.. وقال: "لو خطر ببالي أن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مشركاً".. وقال: "أيش أعمل بلظى وسقر؟ عندي أن لظى وسقر فيها تسكن يعني في القطيعة والإعراض– لأنه من عذبه الله بالقطيعة فهو أشد عذاباً ممن عذبه بلظى وسقر".

وقيل له: لم تقول: الله، ولا تقول :لا إله إلا الله؟ فقال: استحي أن أواجه إثباتاً بعد نفي، أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار.[69]

وورد أنَّ الجنيد قال للشبلي: "نحن حبرنا هذا العلم تحبيرًا، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ"، فرد عليه الشبلي بقوله: "أنا أقول وأنا أسمع فهل في الدارين غيري".[70] يقول الشبلي:" كنت أنا والحسين بن منصور شيئًا واحدًا، إلا أنه أظهر وكتمت".[71]

6- وحدةُ الوجود عند عبد الكريم الجيلي:

لقد أودعَ الجيلي تصورُه وتقريرُه لمذهب وحدة الوجود في كتابه "الإنسان الكامل"، وممَّا يميِّزُ الجيلي عن غيره من شيوخ الصُّوفِيَّة هو تصريحه الواضح الذي لا لبسَ فيه، ولا غموضَ أنَّ الله تعالى ما هو إلاَّ إنسانٌ كاملٌ، وأنَّ الإنسانَ الكاملَ ما هو إلاَّ الربُّ الأكبرُ الجامعُ بين الحقَّ والخلق في وحدة. وقد ادعى الجيلي نفسه الربوبيةَ العظمىَ. وننقل طائفةً من أقواله نثراً وشعراً ليتبَيَّنُ للقارى مذهبَه.

فمن أقواله التي يزعم فيها أنَّ الله تعالى هو الإنسانُ الكبيرُ:

---

[67]– انظر شطحات البسطامي في اللمع: السرَاج الطوسي ص 380–394، الكواكب الدرية للمناوي.

[68]– تذكرة الأولياء 160/1.

[69]– انظر شطحات الشبلي في اللمع: السرَاج الطوسي.

[70]– التعرف على مذهب التصوف للكلاباذي ص145.

[71]– الحلاج لطه عبد الباقي سرور، نقلاً عن الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف: مكتبة ابن تيمية، الكويت الطبعة الثالثة، 1406هـ– 1986م ص 89، 92.

قوله: "الحرف الخامس: من هذا الاسم (يعني لفظ الجلالة: الله) هو الهاء، فهو إشارةٌ إلى هوية الحق الذي هو عين الإنسان. قال الله تعالى: قل يا محمد هو أي الإنسان الله أحد، فهاء الإشارة في "هو" راجع إلى فاعل قل، وهو أنت، وإلاَّ فلا يجوز إعادة الضمير إلى غير مذكور... قال تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا) سورة الأنعام:27، ليس المراد به محمد وحده، بل كلُّ راءٍ، فاستدارة رأس إلهَاء إشارة إلى دوران رحى الوجود الحقي والخلقي على الإنسان".[72]

ويضيف: الإنسان هو الحقُّ وهو الخلق، وهو مخلوق له ذل العبودية والعجز، وأنَّه على صورة الرحمن فله الكمال والعز، وقوله تعالى: (فالله هو الولي) سورة الشورى:9. قال يعني: الإنسان الكامل، وهو وليٌّ حقٌّ متصورٌ في صورة خلقية، أو خلق متحقق بمعاني الإلهية، وهو الجامع لوصفي النقص والكمال، والساطع في أرض كونه بنور الشمس المتعال، فهو السماء والأرض وهو الطول والعرض.[73]

وقال في كتابه "المناظر الالهية"[74]: "في هذا المنظر يستوى اتصاف العبد بصفات الله تعالى، واتصافه بصفات نفسه، فلا يجدُ في شيءٍ منها تَكَلُّف، ولا يحتاج إلى تعمل، فيكون في أوصاف الله تعالى كما هو في أوصاف نفسه يتصف بما شاء، فيظهر أثره، ويترك ما شاء، فيظهر أثره، ويترك ما شاء، وهو له فيخفي أثره".

ومن أقواله التي يدعي فيها لنفسه الربوبية العظمى:

- قوله: ليَ الملكُ في الدارين لم أرَ فيهما ... سواي فأرجو فضلَه أو فأخشَاه
ولا قبلَ من قبلي فالحقُّ شأنه ..... ولا بعدَ من بعدي فاسبق معناه
وقد حزت أنواع الكمال وإنَّني ... جمالُ جلالِ الكلِّ ما أنا إلاَّ هو.[75]
- وقوله في قصيدته العينية:

فكنتُ أنا هيَ وهيَ كانتْ أنا وما ... لها في وجودٍ مفردٍ من يُنازعُ
بَقِيتُ بها فيها ولا تاءَ بيننا ... وحالي بها ماضٍ كذا ومضارِعُ
وشاهَدَتْنيَ حقاً بعينِ حقيقتي فليَ... في جبين الحسن تلك الطلائعُ
فأوصافُها وصفي وذاتي ذاتُها ... وأخلاقُها لي في الجمال مطالع
واسمي حقاً اسمُها واسمُ ذاتها ... لي اسمً ولي تلك النعوت توابع[76]

---

[72]- الإنسان الكامل 91/1.

[73]- المصدر السابق نفسه -بتصرف-.

[74]- المناظر الالهية ص 198.

[75]- الإنسان الكامل 19/1.

[76]- انظر المصدر السابق ص 37.

يلاحظ أنَّ الجيلي قد تأثر تأثراً شديداً بشعر ابن الفارض في التائية، فقوله في الأبيات السابقة "ما أنا إلاَّ هو"، وقوله في هذه الأبيات: "أنا هي وهي كانت أنا" يتفق تماماً مع قول الحلولية الذين سبقوه، فالحلَّاج قال: "أنا الحقّ"، والبسطامي قال: "ولا حقَّ إلاَّ وأنا هو"، وابن الفارض قال: "ومن أنا إيَّاها".

وقد ذكر الجيلي مظاهر الكون المختلفة، من البحار والصحاري والنبات والمعادن والجبال، ثمَّ ذكر العقلَ، والنفسَ، والملائكةَ، وابليسَ، والكرسيَ والعرشَ، وسدرة المنتهى، والنجومَ، وجنةَ عدن،[77] ثمَّ قال شعراً في بيان معتقده في الإنسان الكامل:

فإنّي ذاك الكل والكل مشهدي ..... أنا المُتجلي في حقيقتهِ لا هو
وإني رب للأنام وسيد ..... جميع الورى اسمٌ وذاتي مسماه
لي الملكُ والملكوتُ نَسْجِي وصَنْعَتي ... ليَ الغيبُ والجبروتُ منّي منشاه[78]

ومن أقواله في وحدة الوجود:

– قوله: "فأوَّلُ رحمةٍ رحمِ اللهُ بها الموجوداتِ أنْ أوجد العالمَ من نفسه، قال تعالى: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرفى جميعاً منه) سورة الجاثية:13، ولهذا سرى ظهورهُ في الموجودات، فظهرَ كمالُه في كلَّ جزءٍ وفردٍ من أفراد أجزاء العالم، ولم يتَعَدَّد بتعدد مظاهره، بل هو واحدٌ في جميع تلك المظاهر، أحدٌ على ما تقتضيه ذاته الكريمة من نفسها إلى غير ذلك من صفات الكمال، وإلى ظهوره في كل ذرة من ذرات الوجود امتازت الطائفة بالوجود الساري في جميع الموجودات، وسرُّ هذا السريان أن خلق العالم من نفسه".[79]

– وقوله" في كتابه "المناظر الإلهية" تحت عنوان: منظر الوجود[80]: "يتجلَّى الله في هذا المنظر بأعيان المظاهر، فيكون عينَ الظاهر، وعين المظهر، وهذا أوَّل مجالي الصفة الواحدية، لا يشهد صاحبُ هذا المنظر لشيءٍ في العالم وجودٌ ألبتة، فلا يبقى للحادثات عنده أثر".

– وقوله: وما الخلق في التمثال إلاَّ كثلجةٍ ... وأنت بها الماء الذي هو تابع
وما الثلجُ في تحقيقه غير مائه ... وغيران في حكم دعته الشرائع
ولكن يذوب الثلجُ يرفعُ حكمُهُ ..... ويوضعُ حكمُ الماء الأمر واقع
تجمعت الأضدادُ في واحد البها ... وفيَّ تلاشت وهو عنهن ساطع.[81]

---

[77]– انظر المصدر السابق ص 19–20.

[78]– المصدر السابق نفسه .

[79]– المصدر السابق ص 28.

[80]– المناظر الإلهية ص 101.

[81]– الإنسان الكامل 28/1.

يقول الجيلي مبيناً معني شعره: "فمثلُ العالم مثلُ الثلج، والحقُّ سبحانه وتعالى الماء الذي هو أصلُ هذا الثلج، فاسمُ تلك الثلجة على ذلك المنعقد معار، واسم المائيَّة عليه حقيقة".[82] فالجيلي في شعره وقوله الذي بيَّن فيه معنى شعره يشَبِّهُ الوحدةَ الحاصلةَ بين الله وخلقه بالوحدة الموجودة بين الماء والثلج، فكلاهما عينُ الآخر، فالماءُ ثلجٌ ذائبٌ، والثلجُ ماءٌ متجمدٌ، والشرائعُ وحدُها هي التي حكمَت بالمغايرة بينهما، أي بين الله تعالى وخلقه، أمَّا في الحقيقة فلا تغايرَ، كما لا يوجد تغايرٌ بين الماء والثلج.[83]

وذهب الجيلي إلى أنَّ وجود ما عدا الله تعالى كذبٌ لا حقيقةَ، فالله وحده له الوجود، يقول في ذلك: "للوحدة منظرٌ يَجلُّ عن أنْ يدركَهُ المخلوقُ، فليس للمخلوق فيه راحةٌ بوجه من الوجوه. وفي هذا المشهد يَسلبُ الحقَّ تعالى العالمَ ما ألبسهم من حللِ الدعاوي الكاذبة، المشعرة بوجودِ موجودٍ سواه، فإذا تعرَوا عن ذلك تجلَّت أنوارُه في الموجودات بغير حلولٍ، ولا مزجٍ، ولا شائبة نقصٍ، بل بحكم الوحدة الإلهية التي هو عليها منذ كان".[84]

وزعم الجيلي أنَّ الربَّ تعالى يجمعُ في ذاته بين النقيضين والضدين، يقول في ذلك: "واعلم أنَّ الوجودَ والعدمَ متقابلان، وفلكُ الألوهية محيطٌ بهما، لأنَّ الألوهيةَ تجمعُ الضدين، من القديم والحديث، والحق والخلق، والوجود والعدم، فيظهر فيها الواجبُ مستحيلاً بعد ظهوره واجباً، ويظهرُ فيها المستحيلُ واجباً بعد ظهوره فيها مستحيلاً، ويظهرُ الحقُّ فيها بصورة الخلق... ويظهر الخلقُ بصورة الحقِّ".[85] ويقول أيضاً: "واعلم أنَّ الله لمَّا خلقَ النفسَ المُحَمَدِيَّة من ذاته، وذاتُ الحقِّ جامعة للضدين، خلقَ الملائكة العالمين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد صلى الله عليه وسلم، وخلقَ إبليسَ وأتباعَه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد صلى الله عليه وسلم".[86]

وذهب الجيلي إلى أنَّ الله تعالى هو عينُ خلقه، وليس ثَمَّ، ولا سوى، فكلُّ مظاهر الكون، وجميعُ ما فيه من المخلوقات والموجودات الحسية وغير الحسية هو الله لا غير.

ومن أشعاره التي نفث فيها ذلك الهراء قوله:

فما ثَمَّ سوى الله في الورى ..... وما ثَمَّ مسموعٌ وما ثَمَّ سامع
هو العرشُ والكرسيُّ والمنظرُ العليُّ ... هو السدرةُ اللاتي إليها المراجعُ
هو الأصلُ حقاً والرسومُ مع الهوى ... هو الفلكُ الدوَّارُ وهو الطبائعُ

---

[82]- المصدر السابق نفسه.

[83]- هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل هامش ص 90.

[84]- المناظر الإلهية ص 146.

[85]- الإنسان الكامل 23/1.

[86]- الإنسان الكامل 38/1.

هو النورُ والظلماءُ والماءُ والهوىُ ..... هو العضوُ الناري وهو الطبائعُ
هو الشمسُ والبدرُ المنيرُ مع السها.... هو الأفقُ وهو النجمُ وهو المواقعُ
هو الدارُ وهو الحيُّ والأثلُ والغضا.... هو الناس والسكان وهو المرابعُ
هو الجنسُ وهو النوعُ والفصلُ إنَّه..... هو الواجبُ الذاتي والمتمانعُ
هو الحيوانُ الحيُ وهو حياتُه..... هو الوحشُ والإنسُ وهو السواجعُ
هو العقلُ وهو النفسُ والقلبُ والحشا..... هو الجسمُ وهو الروحُ والمتدافعُ
هو الموجدُ الأشياءَ وعينُ وجودها..... وعينُ ذوات الكلِّ وهو الموانعٌ
حقائقُ ذات في مراتبِ حقِّه..... تُسمى باسم الخلقْ والخلقِ واسعٌ
ونَزِهُهُ عن حكمِ الحلول فما له ..... سوى وإليَّ توحيده الأمرُ راجعٌ
فيا أحدي الذات في غيرِ كثرةٍ ..... ويا موجدُ الأشياء ذاتُك شائعٌ
تجلَّيتَ في الأشياء حين خلقتَها ..... فها هي ميطت عنك فيها البراقعُ
فكلٌ بهاءٍ في ملاحة صورة ..... على كل قد شابه الغصن يافعُ
وكلٌ اسوداد في تصانيف طرة ..... وكل احمرار في الطلائع صانعُ
وكلٌ كحيل الطرف يقتل صبَّه ... بماض كسيف الهند حال مضارعُ
وكلٌ اسمرار في القوائم كالقنا ... عليه من الشعر الوسيم شرائعُ
وكلٌ مليح بالملاحة قَدْ زَهَا... ... وكلٌ جميلٍ بالمحاسن بازعُ
وشاهده حقاً فيك منك فإنَّه ..... هويتك اللاتي بها أنت دالعُ
ففيَّ أينمَا حقاً تولوا وجوهَكم ... فماُ ثَمَّ إلاَّ الله هل من يطالعُ[87]

يلاحظ أنَّ الجيلي في أبياته الشعرية السابقة متأثرٌ إلى حدٍ كبيرٍ بتائية ابن الفارض، فهو يردِّدُ عباراتِه ومعانيَه، بل ونفس أقوالِه وكلماتِه. وشعرهُ ينعقُ بالزندقة والإلحاد، ولا يكادُ يختلفُ اثنان في جرأة الجيلي على التصريح بمعتقده، حيث أظهر وبكل وضوحٍ مذهبَ وحدة الوجود بما لا يدعُ مجالاً لصوفيٍ أنْ يدافع عن زندقته بأيِ وجهٍ من الوجوه.

[87]– الإنسان الكامل 61، فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني ص 203–207.

7- وحدةُ الوجود عند محمد صدر الدين أبو المعالي القونوي الرومي: [88]

يعدُّ الصدرُ الروميُّ من أصدقِ القائلين بوحدة الوجود في مدرسة ابن عربي،[89] ولكنَّه يختلفُ عن ابن عربي في بعضِ منطلقاتِ فكرةِ وحدة الوجود، فابن عربي يفرّقُ بين وجود الأشياء وثبوتها، فالأشياء عنده ثابتةٌ في العدم ثُمَّ اكتَسَت بالوجود عندما فاضَ عليها الحقُّ بالوجود، بينما الصدر الرومي لا يقولُ أنَّ الوجود زائدٌ على الماهية، بل وجودُ الأشياء هو نفسُ أعيانها، وأيضاً فإنَّ ابن عربي يرى أنَّ وجودَ الأعيان هو نفسُ وجودُ الربِّ، فوجودُ الربِّ عنده ليس متميّزاً عن الوجود القائم بأعيان الممكنات، وأمَّا الصدرُ الرومي فيري بأنَّه ما من سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة، أي أنَّ الله هو الوجودُ المطلقُ الذي لا يتعيَّن ولا يتميَّز، وأنَّه إذا تعيَّن أو تميَّز فهو الحقُّ سواء تعيَّن في مرتبة الإلهية أو غيرها.[90]

يقول ابن تيمية في مناقشته أفكار الرومي: إنَّ الرومي فرَّق بين المطلق والمعين، وجعل الحقَّ هو الوجودَ المطلقَ. وهذا القولُ أدخلُ في الكفرِ من قول ابن عربي، وأقلُّ علماً وإيماناً، ومعرفةً بالإسلام وكلامَ المشايخ، وهو أدخلُ في تعطيلِ الخالق وعدمِه، لأنَّ المطلقَ ليس له في الخارج وجودٌ، فوجودُه فقط في الأذهان، لأنَّ الذي يوجد في الخارج هو الشيءُ المعيَّنُ، فليس في الخارج إنسانٌ مطلقٌ، ولا حيوانٌ مطلقٌ. فحقيقة قوله: إنَّه ليس لله تعالى وجودٌ أصلاً ولا حقيقةٌ ولا ثبوتٌ إلاَّ نفسُ الوجود القائم بالمخلوقات، أي نفسُ الأشياء المعينة المتميزة، ولمَّا كانت هذه ليست إيَّاه فليس هو شيئاً أصلاً.[91]

---

[88]- هو: محمد صدر الدين أبو المعالي بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن على، الشهير بالقونوي، وكان أبوه اسحاق من أشراف السلاجقة، ولد القونوي في محافظة ملاطية في الأناضول سنة 606 هـ1209 - م، نشأ صدر الدين في أسرة غنية تبدو عليه آثار الثراء، وكانت وفاته 672هـ، صوفي تركي، وأحد تلاميذ محي الدين بن عربي، له مؤلفات كثيرة أغلبها عن محي الدين بن عربي وقد بقيت بعض المخطوطات، من مؤلفاته: تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي، فكوك النصوص في مستندات حكم الفصوص للشيخ الأكبر، التجليات، النفحات وغيرها.

[89]- انظر الفلسفة الصوفية في الإسلام: د. عبد القادر محمود ص 534 .

[90]- انظر مجموعة الرسائل والمسائل 18/67،4/1، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص 101، درء التعارض 290/1.

[91]- انظر مجموعة الرسائل والمسائل 18/67،4/1، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص 101، درء التعارض 290/1.

8- وحدة الوجود عند جلال الدين القونوي:[92]

يعدُّ جلال الدين القونوي الرومي أحد القائلين بوحدة الوجود، الذي تصوَّف بعد أن كان فقيهاً حنفياً بارعاً، ومن أقواله في ذلك: "فمن نحن حتى يكون لنا وجود بجانبك، يا من أنت روح لروحنا، نحن ووجودنا عدمٌ، وأنت الوجود المطلق".[93]

وثمَّت شيءٌ آخر يُلاحظ في تراث الرومي وهو: قوله بالحلول والاتحاد الخاص الذي ذهب إليه الحلَّاج، ويدلُّ عليه قوله: دقَّ رجلٌ بابُ صديقٍ، فناداه صوتٌ من الداخل.. من الطارقُ؟ فأجابه أنا، فناداه الصوتُ: إنَّ هذه الدار لا تتسع لاثنين. وظلَّ البابُ مغلقاً، فسار المحبُّ الى الصحراء... ثمَّ عادَ بعد عام، ودقَّ الباب مرةً أخرى، وسأل الصوتُ كما سأله من قبل من الطارق؟ فأجاب المُحبُّ أنَّه أنت نفسك، ففتح الباب...[94]

يلاحظ أنَّ هذه الفقرات من أقوال جلال الدين الرومي هي في معناها نفس معنى شعر الحلَّاج الذي يعبر فيه عن مذهبه الحلولي. يقول الحلَّاج:

قال لي المحبوب لمَّا زرتُه ... من ببابي قلتُ بالباب أنا
قال لي أنكرتَ توحيدَ الهوى ... عندما فرَّقتَ فيه بيننا
ومضى عامٌ فلما جئتَهُ ... أطرقَ البابَ علينا موهناً
قال لي من أنتَ قلتُ.... انظر فمَا ثَمَّ بالباب سوى أنت
هنا قال ليَ أدركتَ توحيدَ الهوى ... وعرفتَ الحبَّ فأدخل يا أنا[95]

ولكي تَتَّضحُ عقيدةُ وحدة الوجود عند جلال الدين الرومي نذكرُ طائفةً من أشعاره التي تحدَّثَ فيها عن الاتحاد مع المحبوب، ومن ذلك قوله:-

ما أسعدُ تلك اللحظةُ حين نجلسُ في الايوان أنا وأنت.
نبدو نقشين وصورتين ولكَّننا روحٌ واحدةٌ أنا وأنت
إنَّ لونَ البستان وشدَو الطيور يَهبُنا ما الحياة

92- هو: محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد البلخي جلال الدين، المعروف بالقونوي الرومي، ولد بفارس سنة 604هـ، وتوفي بقونية سنة 672هـ، فقيه حنفي، صوفي من القائلين بوحدة الوجود، إليه تنسب الطريقة المولوية الصوفية، ترك أشعارا ومؤلفات صوفية، كتبت أغلبها باللغة الفارسية وبعضها بالعربية والتركية، له منظومة صوفية فلسفية سماها "المشنوي" ترجمت من الفارسية الى العربية، شرح فيها مذهبه الاتحادي. انظر مفتاح السعادة 145/2-147، الجواهر المضية في طبقات الحنفية 123/2-124، كشف الظنون 1587/2، الأعلام 258/7-259.

93- المثنوي للرومي 130/1-131.

94- انظر المصدر السابق 360/1.

95- أخبار الحلاج ص 50.

في تلك اللحظة التي نذهبُ فيها إلى البستان أنا وأنت
وتقبلُ نجومُ الفلك رانيةً إلينا بأبصارها
فنجلوَ القمرَ نفسَه لتلك الأفلاك أنا وأنت
أنا وأنت، بدون أنا وأنت، نبلغ بالذوق غايةَ الاتحاد
فلنسعدُ ونستريحُ من خرافات الفرقة إلى أنا وأنت
وسيأكلُ الحسدُ قلوبَ طيور الفلك، ذات الألوان الباهرة
حينما تشاهدنا نَضحكَ جَذِلَيْن على تلك الصورة أنا وأنت[96]

وقولُه: "وفي طومار: قال: إنَّ تلكَ الكثرة التي نراها شيئاً واحداً، وكلُّ من رآها شيئين فهو رجلٌ صغيرٌ أحولٌ".[97] يقول شارح المثنوي: "في هذا البيت تعبير عن مذهب وحدة الوجود. فكلُّ ما في الوجود يرمزُ إلى كلِّ واحدٍ، وإلى حقيقةٍ واحدةٍ".[98]

– وقولُه: "فكلُّ طباق الأرض والسماء، ليست سوى قشٍ في ذلك البحر الفياض. وتدافعُ القشُّ ورقصةٌ فوق الماء، وإنَّما يجيءٌ من الماء حين يجيش".[99] يقول الشارح: "في هذين البيتين تعبيرٌ عن وحدة الوجود، حيث شبَّه الذاتِ الإلهية ببحرٍ فياضٍ، وكلُّ مظاهرِ هذا الوجودِ لا تعدو أنْ تكون قشاً سابحاً في هذا البحر، فكلُّ حركةٍ لهذا القشِّ مصدُرها البحرِ، أمَّا القشُّ فليست له حركةٌ ذاتيةٌ".[100]

9– **وحدة الوجود قال جلال الدين الرومي** [101] "لا معبود إلا الله عَقدُ العامة، أما عقد الخاصة فيَبين بقولهم: لا موجودَ إلا الله!".[102]

96– المثنوي –المقدمة– 35/1.

97– انظر المصدر السابق 120/1.

98– انظر المصدر السابق نفسه.

99– انظر المصدر السابق 384/1.

100– انظر المصدر السابق 584/1.

101– اسمه :محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القُوْنَوِي (منسوب إلى قونية)، الرُّومي، الحنفي المذهب، ويُعرف باسم مولانا جلال الدين الرومي، ولد في بلخ من خراسان، وهاجرت أسرته منها عند قدوم المغول هربًا إلى نيسابور، وهناك تعلم الشعر علي يد فريد الدين العطار الذي أهداه ديوانه: ولد في بلخ من خراسان، وهاجرت أسرته منها عند قدوم المغول هربًا إلى نيسابور، وهناك تعلم الشعر علي يد فريد الدين العطار الذي أهداه ديوانه "أسرار نامة"، وكان له تأثير عميق في شخصيته الشعرية والصوفية. وكان له تأثير عميق في شخصيته الشعرية والصوفية.وهو صاحب الطريقة المولوية الصوفية. توفي سنة 672هـ.

102– كتاب فيه ما فيه ص 99.

10- يقول الششتري[103]:

ما للحجاب مكان في وجودكم.....إلا بسر حروف انظر إلى الجبل
أنتم دللتم عليكم منكم ولكم.....ديمومة عبرت عن غامض الأزل
عرفتم بكم هذا الخبير بكم.....أنتم هم يا حياة القلب يا أملي

ويقول (زجلاً):

لقد أنا شيء عجيب... لمن رأني..... أنا المحب والحبيب..... ليس ثم ثاني
يا قاصداً عين الخبر.....غطاه أينك.....الخمر فيك والخبر..... والسر عندك
ارجع لذاتك واعتبر..... ما ثم غيرك

ويقول أيضاً:

لقد فشا سري بلا مقال.....وقد ظهر عني في ذا المثال
ترى وجود غيري من المحال.....وكل ما دوني خيال في
متحد في كل شيء.....أنا هو المحبوب وأنا الحبيب
والحب لي مني شيء عجيب.....وحدي أنا فافهم سري غريب
فمن نظر ذاتي رآني شيء.....وفي حلا ذاتي طواني طي
صفاتي لا تخفى لمن نظر.....وذاتي معلومة تلك الصور
أفنَ عن الإحساس ترى عبر .....في السر والمعنى خفيت كي
لأنه مني ستر علي

يعلق ابن عجيبة على هذه الأشعار بعد شرحها، فيقول: وقد اتفقت على هذا المعنى، وهو سر الوحدة، مقالات العارفين، ومواجيد المحبين، وأشعارهم كل على قدر ذوقه وشربه، جزاهم الله عنا وعن المسلمين خيراً، ولا يفهم هذه العبارات إلا أهل الأذواق والإشارات".

ويقول الششتري أيضاً:

محبوبي قد عم الوجود ..... وقد ظهر في بيض وسود
وفي النصارى مع اليهود ..... وفي الخنازير مع القرود
وفي الحروف مع النقط ..... أفهمني قط أفهمني قط
عرفته طول الزمان ..... ظهر لي في كل أوان
وفي المياه وفي الدلوان ..... وفي الطلوع وفي الهبوط

---

[103]– أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري الأندلسي، ولد في ششتر إحدى قرى وادي آش في جنوبي الأندلس سنة 610هـ، عرف مسالك الصوفية ودار في فلكهم وكان يعرف بعروس الفقهاء وبرع الششتري في فنون النظم المختلفة الشائعة على زمانه من القصيد والموشح والزجل واشتهر شاعراً وشاحاً زجالاً على طريقة القوم.

أفهمني قط أفهمني قط [104]

11- وحدة الوجود عند الشيخ حسن رضوان:

لقد قرَّرَ هذا المذهبَ في قصيدته الشعرية، التي سمَّاها: "روض القلوب المستطاب"، وقد بلغت اثنى عشر ألف بيت. وممَّا جاء فيها:

فليس في الوجود شيء يشهد ... سواه فالأشياء به تُوَحِّدُ
والكثرةُ الموجودةُ الموهومةُ.... في ذاتها بوحدةٍ معدومةٍ
والحقُّ في الأشياء جميعاً ظاهرٌ..... وسِرُّه قامت به المظاهرُ
وكلُّ ذرةٍ من الذَّرات..... تُنْبي بأنَّ الكلَّ عينُ الذات
فوحدةُ الوجود لا تفارقُ ... شيئاً ولكن يُستفادُ الفارقُ
فبالحدوثِ والفناءِ يَوصفُ ... إذاً ولا يَضرُّ إذ يُعرَّفُ [105]

ويقول مبشراً سالك الطريق الصوفي:

ولا يزال نوره يزيد ... حتى لديه يكمل التوحيد
وسرُّ وحدة الوجود ينكشف ... لعينه ومنه ذوقاً يَرتَشِف
فتضمحلُّ الكثرةُ المشهودةُ ... له بنور الوحدة المقصودة
فلا يرى بعينه المُوحِّدَ ... فى الكون شيئاً غير ذات واحدة [106]

وقال مصرحًا بها: وحسبك من ذلك المقصود إشراق نور وحدة الوجود [107]

لقد ذكر الشيخ حسن رضوان في الأبيات السابقة وحدةَ الوجود بالتصريح ثلاثَ مرَّات، وأنَّ العقيدة الحقَّة هي الإيمان بوحدة الوجود، وأنَّ الإيمانَ بغير ذلك باطلٌ، فالإيمان وكمال التوحيد لا يكون إلاَّ باعتقاد وحدةِ الوجود، والموحِّدُ الحقُّ هو من لا يرى في الوجود إلاَّ واحداً، فليس إلاَّ الله، وليس في الوجود يشهدُ سواه.

ويقول: "إنَّ كلَّ ما سوى الله تعالى من الأعيان الظاهرة والماهيات الممكنة علوية أو سفلية باطلٌ في شهود العارفين من حيث ذاته، فلا حقيقةَ له أزلاً وأبداً، وإنَّما الموجودُ حقيقةً كذلك هو ذات الحق تعالى، وليس لتلك الأعيان والماهيات الظاهرة وجودٌ حقيقيٌ ذاتي لها... فهو الظاهرُ في جميع المظاهر، والمشهودُ في كلِّ التَّعيُّنات بحسب تفاوتها في استعدادتها، وتعدد

---

[104]– انظر أشعار الششتري: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم: ابن عجيبة ص 42–43.

[105]– ديوان روضة القلوب المستطاب ص 269.

[106]– المصدر السابق ص 115.

[107]– المصدر السابق ص 486.

شئونه بتكثر حيثياتها على مقتضى تعلق العلم القديم بذلك كله، إجمالاً وتفصيلاً، كلياً وجزئيا".[108]

يقول الإمام ابن تيمية – بعد أن ذكر كثيراً من أقوال أصحاب مذهب وحدة الوجود–: "يقولون: إن الوجود واحد، كما يقول ابن عربي– صاحب الفتوحات– وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني وأمثالهم –عليهم من الله ما يستحقونه– فإنَّهم لا يجعلونَ للخالق سبحانَه وجوداً مبايناً لوجود المخلوقِ، وهو جامعُ كلِّ شرٍ في العالم، ومبدأُ ضلالِهم من حيثُ لم يثبتوا للخالق وجوداً مبايناً لوجود المخلوق، وهم يأخذونَ من كلامِ الفلاسفة شيئاً، ومن القولِ الفاسدِ من كلامِ المُتصوفةِ والمتكلمين شيئاً، ومن كلامِ القرامطة والباطنية شيئاً، فيطوفونَ على أبوابِ المذاهب، ويفوزونَ بأَخَسِّ المطالب، ويثنونَ على ما يُذكرُ من كَلامِ التَّصَوُف المخلوطِ بالفلسفة".[109]

فروع اعتقاد أهل وحدة الوجود:

ونذكر هنا فروع عقيدتهم الفاسدة "**وحدة الوجود**":–

1- القول بالجبرية ونفي الثواب والعقاب:

لقد بيّنَ شيخ الإسلام ابن تيمية ما ترتب على عقيدةِ الفاسدة "وحدة الوجود"، وهو القول بسقوط التكاليف، والقول بالجبر، وأنَّ العبادَ مجبورون على أفعالهم لا اختيار لهم، فعندهم أنَّ أحسنَ عملٍ يقومُ به الكافرُ هو الكفر؛ لأنَّ هذا مقتضى خلق الله له، فالله خلقه ليقوم بهذا العمل، وأفضلُ عملٍ يقومُ به النَّصرانِيُّ هو نصرانيته، وأفضلُ عملٍ يقومُ به اليهوديُّ هو يهوديته، وهكذا المسلم والدرزي والنصيري، وكلُّ شخصٍ أفضلُ عملٍ يقومُ بِه هو ما يقومُ بِه في حياته، وهؤلاء هم جبريَّةُ الصوفيَّةِ..".[110]

وممَّا يؤكِّدُ قولُ ابن عربي بالجبر الذي هو من نتائج مذهبه الفاسد "وحدة الوجود":–

يقول ابن عربي: الحكمُ حكمُ الجبرِ والاضطرار ما ثمَّ حكمٌ يقتضي الاختيارَ

إلاَّ الذي يعزى إلينا ففي ظاهره بأنه عن خيار

لو فكر الناظر فيه رأى بأنه المختار عن اضطرار

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقاً بذلك الوجه فاذكروا

جمع وفرق فإن العين واحدة وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر

وبناء على هذا التصور فليس ثَمَّة خلقٍ ولا موجودٍ من عدمٍ، بل مجردُ فيضٍ وتجلٍي، وما دامَ الأمرُ كذلك فلا مجالَ للحديث عن علةٍ أو غايةٍ، وإنَّما يسيرُ العالمُ وفْقَ ضرورةٍ مطلقةٍ،

---

[108]– المصدر السابق ص 2.

[109]– جامع الرسائل والمسائل167/1.

[110]– شرح رسالة العبودية لابن تيمية: عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، الدرس رقم 19 ص5.

ويخضعُ لحتميَّةٍ وجبريَّةٍ صارمةٍ. وهذا العالم لا يُتكلَّمُ فيه عن خيرٍ وشرٍ، ولا عن قَضاءٍ وقَدَرٍ، ولا عن حُريةٍ أو إرادةٍ، ثمَّ لا حسابَ ولا مسؤوليَّةً، ولا ثوابَ ولا عقابَ، بل الجميعُ في نعيمٍ مقيمٍ، والفرق بين الجنة والنار إنَّما هو في المرتبة فقط لا في النون. وقد ذهب ابن عربي إلى تحريف آيات القرآن الكريم لتوافِقَ مذهبَه الضَّال ومعتقدَه الفاسد، فقال: العذابُ من العُذوبَةِ، والرِّيحِ التي دمَّرَت قومَ عاد هي الرَّاحةُ، لأنّها أرَاحَتْهُم من أجسامِهم المظلمةِ، وفي هذه الرِّيحِ عذابٌ، وهو من العُذوبَةِ.

2- القول بإيمان فرعون اللعين:

يقول ابن القيم في بيان فروعِ مذهبِ أهل وحدة الوجود: "وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ: أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مُؤْمِنُونَ كَامِلُو الْإِيمَانِ، عَارِفُونَ بِاللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ.[111]

لقد **حكم ابن عربي** بإيمان فرعون بقوله تعالى: "قرة عين لي ولك"، فكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق.[112] وكلامه هذا في الحقيقة هو إبطال للدين من أصله، لأنّ وعيد الله للكفار لا يقع منه شيء.

وقال جلال الدين الرومي: "فلا يصح أن يحرم فرعون بالكلية من عناية الله فربما يكون للرب تعالى عناية خفية به، وكان الخير مقصدًا له في جعله ملعونًا؛ وذلك لأن القهر والإلطاف والسجن والخلعة ضرورات الملك... وأهل الحب لا ينفون عناية الله عن فرعون، لكن أهل الظاهر يعدونه ويعرفونه ممَن رد بالقطع والتأكيد، والحال أن حمل الأمر على ظاهره يوجب ما ذهبوا إليه".[113] وهذا معنى ما قاله شيخه ابن عربي في فصوصه عن فرعون: "فقبضه الله طاهرًا مطهرًا ليس فيه شيء مِن الخبث".[114]

3- قولهم الجنة والنار كليهما للنَّعيم:

إنَّ أهل النَّارِ عند الصوفية مُنعَّمون تماماً، كأهل الجنَّةِ، قال ابن عربي:

وإن دخلوا دارَ الشَّقاءِ فإنَّهم على لذَّةٍ فيها نعيمٌ مباينٌ

نعيم جنان الخلد، فالأمرُ واحدٌ وبينهما عند التَّجَلِي تباينٌ

يُسَمَّى عذاباً من عُذوبَةِ طَعمِه وذاكِ له كالقشرِ والقشرُ صاينُ

---

[111]– مدارج السالكين: ابن القيم 416/3.

[112]– المصدر السابق 128، وفي هذا المقام لا بد من القول بأن اعتذار البعض عن ابن عربي بأنه يقصد كذا أو كذا ويؤولون كلامه، هذا غير مقبول. قال العراقي: "لا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره ولا يؤول كلامه ولا كرامة ".

[113]– كتاب فيه ما فيه للرومي ص 159.

[114]– فصوص الحكم: ابن عربي ص 201.

4- الجماع نَفسَه دليل هذه الوحدة:

الله تعالى عند ابن عربي وتلامذته هو الطيب والخبيث – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– فيقول ابن عربي: "والعالم على صورة الحق، والإنسان على الصورتين".[115] وقال: "ولمَّا أحبَّ الرجلُ المرأةَ طلبَ الوصلةَ، أي غاية الوصلة التي تكون في المَحبَّةِ، فلم يكن في صورة النشأةِ العنصريَّة أعظمُ وصلةٍ من النِّكاحِ، ولهذا تَعمُّ الشَّهوةُ أجزاءُه كلَّها، ولذلك أُمِرَ بالاغتسال منه، فعمَّت الطهارةُ كما عمَّ الفناء فيها عند حصولِ الشَّهوةِ. فإنَّ الحقَّ غيورٌ على عبدِه أنْ يعتقدَ أنَّه يلتذُّ بغيرِه، فطهَرَّه بالغُسلِ ليرجع بالنظر إليه فيمن فَنِيَ فيه، إذ لا يكون إلاَّ ذلك. فإذا شاهد الرجلُ الحقَّ في المرأةِ كان شهوداً في مُنفعلٍ، وإذا شاهدَه في نفسِه – من حيثُ ظهورِ المرأةِ عنه– شاهدَه في فاعلٍ، وإذا شاهدَه في نفسهِ – من غيرِ استحضارِ صورةٍ مَا تكوَّن عنه– كان شهودُه في مُنفعلٍ عن الحقِّ بلا واسطة. فشهودُه للحقِّ في المرأة أتمُّ وأكملُ، لأنَّه يشاهدُ الحقَّ من حيثُ هو فاعلٌ منفعلٌ، ومن نفسه من حيث هو مُنفعلٌ خاصةً. فلهذا أحبَّ صلَّى الله عليه وسلَّم النِّساءَ لكمال شهودَ الحقِّ فيهنَّ، إذ لا يشاهدُ الحقَّ مجرداً عن المواد أبداً، فإنَّ الله بالذات غنيٌ عن العالمين، وإذا كان الأمرُ من هذا الوجه ممتنعاً، ولم تكن الشهادةُ إلاَّ في مادةٍ، فشهودُ الحقِّ في النِّساءِ أعظمُ الشُّهودِ وأكملُه".[116]

5- تأويل أسماء الله تعالى وفق قولهم بوحدة الوجود:

قال ابن عربي: "ومن أسمائه العلي: عليٌّ من، وما ثمَّ إلا هو، فهو العليُّ لذاته أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلوُّه لنفسه، ومن حيث الوجود فهو عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليس إلا هو".[117]

وقال أيضاً: "فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً. وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة".[118]

6- لا فرقَ بين التَّحريم والتَّحليل، فالكل عين واحدة:

قال ابن القيم: "فَهُوَ عِنْدَهُمْ عَيْنُ النَّاكِحِ، وَعَيْنُ الْمَنْكُوحِ وَعَيْنُ الذَّابِحِ، وَعَيْنُ الْمَذْبُوحِ، وَعَيْنُ الْآكِلِ، وَعَيْنُ الْمَأْكُولِ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ: هُوَ السِّرُّ الَّذِي رَمَزَتْ إِلَيْهِ هَوَامِسُ الدُّهُورِ الْأَوَّلِيَّةِ، وَرَامَتْ

---

[115]– المصدر السابق ص222.

[116] –الفصوص ص217.

[117]– المصدر السابق ص 76.

[118]– المصدر السابق 79.

إِفَادَتَهُ الْهِدَايَةُ النَّبَوِيَّةُ، كَمَا قَالَهُ مُحَقِّقُهُمْ وَعَارِفُهُمْ ابْنُ سَبْعِينَ. وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّ الْحَقَّ[119] أَنْ لَا فَرْقَ فِي التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ بَيْنَ الْأُمِّ وَالْأُخْتِ وَالْأَجْنَبِيَّةِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ، وَالزِّنَا وَالنِّكَاحِ، الْكُلُّ فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ هُوَ الْعَيْنُ الْوَاحِدَةُ، وَإِنَّمَا الْمَحْجُوبُونَ عَنْ هَذَا السِّرِّ قَالُوا: هَذَا حَرَامٌ وَهَذَا حَلَالٌ، نَعَمْ هُوَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ فِي حِجَابٍ عَنْ حَقِيقَةِ هَذَا التَّوْحِيدِ، وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ضَيَّقُوا الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ، وَبَعَّدُوا عَلَيْهِمُ الْمَقْصُودَ، وَالْأَمْرُ وَرَاءَ مَا جَاءُوا بِهِ، وَدَعَوْا إِلَيْهِ".[120]

7- القول بوحدة الأديان، وتصحيح كل الديانات الباطلة، ونجاة أصحابها:

لمَّا آمنت الصُّوفِيَّة أنَّ الوجود واحدٌ، وأنَّ الله تعالى هو عينُ خلقه، لزمَ الصُّوفِيَّة أنْ يؤمنوا بأنَّ جميعَ الملل والنحل واحدةٌ لأنَّها صدرت ممَّن له الوجود الواحد، وأنَّ الله تعالى هو عينُ جميع المعبودات، وهي مظاهرُ وتجلياتٌ له، فلا فرقَ إذاً بين هذا المعبود أو ذاك. فما دامت كلُّها هي الله فقد انتفى التغايرَ والاختلافَ بينها، فالتوحيدُ إذاً هو عينُ الشرك، والإيمان هو عينُ الكفر، فلا فرقَ إذاً بين دينٍ أنزله الله تعالى في كتبه وبعثَ به رسلَه، ودينٍ ابتدعه الإنسانُ من تلقاءِ نفسِه بهواه وحسبِ شهواته، ونسجتُه أوهامُه وشطحاتُه، ما دامَ الله هو الوجودُ المطلقُ.[121]

قال ابن عربي: "فإيَّاكَ أنْ تَتَقيَّدَ بعقدٍ مُخصوصٍ، وتَكْفُرَ بمَا سواه، فيفوتُك خيرٌ كثيرٌ، فكُنْ في نفسك هُيولِي لصورِ المُعتقدَاتِ كلِّها".[122] ابن عربي إلى تصحيح عبادة قوم نوح للأصنام، فجعلَ هذا الخبيثُ قومَ نوحٍ الذين عبدوا الأصنام لم يعبدوا إلاَّ الله، وإنَّهم بذلك موحدون حقاً، فلذلك كافأهم الله الذي هم نفسُه وذاتُه بأنِ أغرَقهم في بحارِ العلمِ بالله. قال ابن عربي: "(مما خطيئاتهم) فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله، (فأدخلوا ناراً) في عين الماء، (وإذا البِحارُ سُجِّرَت)..(فلم يجدوا من دون الله أنصاراً)، فكان اللهُ عينَ أنصارِهم، فهلكوا فيه إلى الأبدِ".[123]

وهكذا راحَ ابن عربي يعيثُ فساداً في بقيَّةِ قصص الأنبياء، ومن شاء فليرجع إلى كتبه ففي كل سطر سيجد رائحة وحدة الوجود. وكلامه هذا في الحقيقة هو إبطال للدين من أصله،

---

[119]– يظهر أنَّ لفظ "الحق" زائد، جاء في شرح العقيدة الطحاوية 25/1: "ومن فروعه أنَّه لا فرق"، باسقاط لفظ "الحق" وإضافة ضمير الغائب.

[120]– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم 416/3.

[121]– انظر ابن الفارض والحب الإلهي: محمد مصطفى حلمي ص 293، هذه هي الصوفية للوكيل ص 93، شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوي ص 16.

[122]– فصوص الحكم –السفر السابع– ص113.

[123]– فصوص الحكم ص73.

لأنّ وعيد الله للكفار لا يقع منه شيء!! فهو وتلامذته يتسترون بإظهار شعائر الإسلام، وإقامة الصلاة، والتزي بزي النساك والتقشف، وتزويق الزندقة باسم التَّصَوُف.[124]

ويقول التيجانية: "إنَّ الكفارَ والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلونَ لأمرِ الله تعالى، وليسوا بخارجين عن أَمرِه".[125]

يقول ابن تيمية في بيان هذا المعتقد الصوفي: لقد كان ابن عربي وابن سبعين ونحوهم من ملاحدة الصُّوفِيَّة يعكسون دين الإسلام، فيجعلون أفضلَ الخلق من قال بوحدة الوجود، ولا يضرُّه بعد ذلك أنْ يكونَ يهودياً، أو نصرانياً، أو مجوسياً، أو وثنياً. بل كان ابن سبعين وابن هود[126] والعفيف التلمساني يجوّزون للرجلِ أنَّ يتمسَّكَ باليهودية والنصرانية كما يتمسَّكُ بالاسلام، فجميع الأديان في نظرهم طرقٌ موصلةٌ إلى الله بمنزلة المذاهب الإسلامية، وكانوا يقولون لِمَنْ يختصُّ بهم من النصارى واليهود: إذا عَرَفْتُم التحقيق (أي وحدة الوجود) لم يضركم بقاؤكُم على ملتكم.[127]

وقال: "ابْنُ سَبْعِينَ وَأَمْثَالُهُ وَهَؤُلَاءِ أَقْوَالُهُمْ فِيهَا تَنَاقُضٌ وَفَسَادٌ وَهِيَ لَا تَخْرُجُ عَنْ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَالْحُلُولِ أَوْ الِاتِّحَادِ وَهُمْ يَقُولُونَ بِالْحُلُولِ الْمُطْلَقِ وَالْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ وَالِاتِّحَادِ الْمُطْلَقِ؛ بِخِلَافِ مَنْ يَقُولُ بِالْمُعَيَّنِ كَالنَّصَارَى وَالْغَالِيَةِ – مِنْ الشِّيعَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِإِلَهِيَّةِ عَلِيٍّ أَوْ الْحَاكِمِ أَوْ الْحَلَّاجِ أَوْ يُونُسَ القنيني أَوْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ ادَّعَيْت فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ–. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ: قَدْ يَقُولُونَ بِالْحُلُولِ الْمُقَيَّدِ الْخَاصِّ وَأُولَئِكَ يَقُولُونَ بِالْإِطْلَاقِ وَالتَّعْمِيمِ. وَلِهَذَا يَقُولُونَ إنَّ النَّصَارَى إنَّمَا كَانَ خَطَؤُهُمْ فِي التَّخْصِيصِ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي الْمُشْرِكِينَ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ إنَّمَا كَانَ خَطَؤُهُمْ لِأَنَّهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَى بَعْضِ الْمَظَاهِرِ دُونَ بَعْضٍ وَهُمْ يُجَوِّزُونَ الشِّرْكَ وَعِبَادَةَ الْأَصْنَامِ مُطْلَقًا عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ وَالْعُمُومِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ مِنْ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ: مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. وَهَذَا الْمَذْهَبُ شَائِعٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ.... وَكَلَامُ ابْنِ عَرَبِيٍّ فِي فُصُوصِ الْحِكَمِ وَغَيْرِهِ، وَكَلَامُ ابْنِ سَبْعِينَ وَصَاحِبِهِ الششتري، وَقَصِيدَةِ ابْنِ الْفَارِضِ نُظُمُ السُّلُوكِ، وَقَصِيدَةِ عَامِرٍ الْبَصْرِيِّ وَكَلَامِ الْعَفِيفِ التلمساني، وَعَبْدِ اللَّهِ البلياني، وَالصَّدْرِ القونوي، وَكَثِيرٍ مِنْ شِعْرِ ابْنِ إسْرَائِيلَ وَمَا

---

[124]– انظر تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للشيخ برهان الدين البقاعي.

[125]– جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني: علي حرازم برادة ص221.

[126]– هو: الحسن بن علي بن عضد الدولة أبي الحسن – أخ المتوكل على الله ملك الأندلس– بن يوسف بن هود، ولد في مرسية سنة 633هـ، وتوفي في دمشق سنة 699هـ، فيلسوف من الغلاة، انظر فوات الوفيات 249/1–250، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية 480/2– 482، الأعلام 221/3.

[127]– الصفدية بتصرف– 269/2.

يَنْقُلُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ شَيْخِهِ الْحَرِيرِيِّ؛ وَكَذَلِكَ نَحْوٌ مِنْهُ يُوجَدُ فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ غَيْرِ هَؤُلَاءِ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ – مَذْهَبِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ وَوَحْدَةِ الْوُجُودِ".[128]

وقال ابن القيم في بيان وحدة الأديان عند الصُّوفِيَّة: "وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ: أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مُؤْمِنُونَ كَامِلُو الْإِيمَانِ، عَارِفُونَ بِاللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّ عُبَّادَ الْأَصْنَامِ عَلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنَّهُمْ إنَّمَا عَبَدُوا عَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا غَيْرَهُ...".[129]

وقال: "وَمَذْهَبُ الْقَوْمِ أَنَّ عُبَّادَ الْأَوْثَانِ وَعُبَّادَ الصُّلْبَانِ وَعُبَّادَ النِّيرَانِ وَعُبَّادَ الْكَوَاكِبِ كُلَّهُمْ مُوَحِّدُونَ، فَإِنَّهُ مَا عُبِدَ غَيْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ عِنْدَهُمْ، وَمَنْ خَرَّ لِلْأَحْجَارِ فِي الْبِيدِ وَمَنْ عَبَدَ النَّارَ وَالصَّلِيبَ فَهُوَ مُوَحِّدٌ عَابِدٌ لِلَّهِ، وَالشِّرْكُ عِنْدَهُمْ إثْبَاتُ وُجُودٍ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ وَخَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ وَرَبٍّ وَعَبْدٍ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ عَارِفِيهِمْ[130]، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: الْقُرْآنُ كُلُّهُ يُبْطِلُ قَوْلَكُمْ، فَقَالَ: الْقُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكٌ، وَالتَّوْحِيدُ هُوَ مَا نَقُولُهُ".[131]

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: "ومن فروع هذا التوحيد (عند أهل وحدة الوجود) وثماره: أن فرعون ونمرود وأمثالهما مؤمنون كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة. وأن عباد الأصنام إنما عبدوا عين الله لا غيره. فهم على الحق والصواب".[132]

ونذكرُ هنا طائفةً من أقوالِ أَعلامِ المُتصوِّفةِ التي تُبيِّنُ اعتقادَ وحدةِ الأديانِ عندَهُم.

أولاً: من أقوال الحلَّاج:

لعلَّ الحلَّاجَ هو أولُ المتصوفة القائلين بوحدة الأديان، فهو يرى أنَّ الأديانَ كلَّها لله تعالى، وأنَّ أسماءَ الأديان ما هي إلاَّ ألقاب مختلفة لشيءٍ واحدٍ لا يختلف بحالٍ، وقد شاعت هذه الفكرةُ بين الصُّوفِيَّة الذين جاءوا بعده ممَّن آمنوا بوحدة الوجود والاتحاد.

يقول الحلَّاج: "الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم، وأمَّا من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما".[133] وقد كتب الحلَّاج كتاباً إلى تلميذه جندب بن زاد ان الواسطي جاء فيه: السلام عليك يا ولدي، سترَ الله عنْكَ ظاهرَ الشريعة، وكشفَ لك حقيقةَ الكفر، فإنَّ ظاهر الشريعة كفرُ خفيُ، وحقيقةُ الكفر معرفة جلية.... وإياك التوحيد".[134] ومن أشعار الحلَّاج في ذلك:

---

[128]– مجموع الفتاوى: ابن تيمية 297/2. مجموعة الرسائل والمسائل: ابن تيمية، علق عليه محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي ص 68.

[129]– مدارج السالكين لابن القيم 416/3.

[130]– هو عفيف التلمساني.

[131]– مدارج السالكين 479/3.

[132]– حقيقة التوحيد: الدكتور يوسف القرضاوي ص 16.

[133]– أخبار الحلاج ص 53.

[134]– المصدر السابق ص 70.

ألاَ أبلغْ أحبائيَّ بأنَّي ركبتُ البحرَ وانكسرَ السفينة
ففي دين الصليب يكون موتي ولا البطحا أريدُ ولا المدينة[135]
كفرتُ بدينِ المسلمين والكفرَ واجبٌ لديَّ وعند المسلمين قبيحُ[136]

وقال الحلَّاج موجهاً حديثه لأحدِ تلاميذه: "يا ابني الأديان كلُّها لله عزَّوجل، شُغِلَ بكل دين طائفة، لا اختياره منهم بل اختياره عليهم، فمن لام أحداً ببطلان ما هو عليه فقد حكم أنَّه اختار ذلك لنفسه، وهذا مذهب القدرية.. واعلم أنَّ اليهوديةَ والنصرانيةَ والإسلامَ وغيرَ ذلك من الأديان هي ألقابٌ مختلفةٌ، وأسام متغايرةٌ، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف. ثم أنشد الحلَّاج:

فكَّرتُ في الأديان جداً محققاً ... فألفيتها أصلاً له شعبٌ جمَّا
فلا تطلبنَّ للمرءِ ديناً فإنَّه ... يَصدُّ عن الوصل الوثيق وإنَّما
يطالبه أصلٌ يُعبَّرُ عنده ... جميع المعالي والمعالي فَيَفْهَمَا [137]

ثانيا: من أقوال ابن عربي:

يرى ابن عربي أنَّ كلَّ من عبدَ معبوداً سواء كان الله أم غيره، فإنَّ عبادَّته حقةٌ، لأنَّ الذي عبدَ غيرَ الله فهو في الحقيقة يعبدُ الله نفسَه، لأنَّ تلك المعبودات مجلى للحق. يقول في ذلك: "والعارفُ المكمَّلُ من رأى كلَّ معبودٍ مجلى للحقِّ يَعبدُ فيه، ولذلك سمَوه كلُهم ألهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك. هذا اسمُ الشخصية فيه، والألوهية مَرتبةٌ تَخيَّل العابدُ لها أنَّها مرتبةٌ معبودةٌ، وهي على الحقيقة مجلىَ الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص".[138]

إنَّ الأديانَ والمعتقداتِ عند ابن عربي كلُّها حقٌ وصوابٌ، وكلٌ متبعٍ لدينٍ أو معتقدٍ مصيبٌ ومأجورٌ، فالشركُ في نظره يتحقَّقُ في عبادة الجمادات والحيوانات والأصنام والتماثيل والنار والملائكة والصليب، لأنَّ المشركَ لا يعبدُ في الحقيقة إلاَّ الله، وما عبدَ عابد إلاَّ الله، والأحدية تسري في هذه الأشياء، وهي السرُّ المعبود فيها، لا شخصها المنصوب هو المعبود.[139] والشقاوة التي تكون للمشرك إنَّما كانت له بإرادة الله تعالى ومشيئته لا باختيار المشرك نفسه، وكذا بالنسبة لسعادة المؤمن، فلم تكن الشقاوة للأول بسبب عبادته غير الله، ولم تكن السعادة للثاني بسبب عبادته الله وحده، لأنَّ الأديان جميعاً واحدةٌ، فالجميعُ يعبدُ إلهاً

---

[135]– المصدر السابق ص 13.
[136]– المصدر السابق ص 81–82.
[137]– المصدر السابق ص 99.
[138]– فصوص الحكم 195.
[139]– انظر رسائل ابن عربي –رسالة الألف– ص 3.

واحداً، فالمشركُ يعبدُ سَرَّ الألوهية الساري في الأصنام والأوثان، كحال المصلي فإنَّ وجهَه متجهٌ للكعبة، لكنَّ قلبَه متجهٌ نحو ربهِّ خاصة.[140]

وقد نصحَ ابن عربي أتباعَه من المتصوفة أنْ يؤمنوا بدينٍ واحدٍ مخصوصٍ، ويكفروا بغيره من الأديان، وأنَّ من فعل ذلك فقد فاته خيرٌ كثيرٌ، وطلب من الصوفي أن تكون في نفسه مادةً لصور المعتقدات كلِّها، لأنَّ الله أوسعُ وأعظمُ من أنْ يحصر عقدٌ دون عقدٍ، قال تعالى: (فأينما تولُّوا فثمَّ وجه الله) سورة البقرة:110، فما ذكر أين من أين، وذكر أنَّ ثمَّ وجه الله، ووجه الشيء حقيقته.[141]

وقد أكد ابن عربي على أن من يعبد الله ومن يعبد الأحجار والأصنام كلهم سواء، في الحقيقة ما عبدوا إلاَّ الله إذ ليس ثمة فرق بين خالق ومخلوق. يقول في ذلك:

ومن أشعار ابن عربي في ذلك:

عَقدَ الخلائقُ في الإله عقائدَا ... وأنا اعتقدتُ جميعَ ما اعتقدوه [142]

لقد كنتُ قبل اليوم أنكرُ صاحبي .... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

لقد صار قلبي قابلاً كلِّ صورة ..... فَمَرْعَى لغزلان ودير لراهبان

وبيتٌ لأوثان وكعبةٌ طائف ..... وألواحٌ توارةٍ ومصحفُ قرآن

أدينُ بدينِ الحُبِّ أنَّى تَوجَّهَتْ ..... رَكَائِبُهُ فالحبُّ ديني وإيماني[143]

- **فرعون اللعين مات مؤمنًا:** بناءً على القول بوحدة الوجود، وما تفرَّع عنه من القول بوحدة الأديان.

ذهب ابن عربي إلى أنَّ فرعونَ مات مسلماً مؤمناً، وأنَّه من الناجين من عذاب الله تعالى. يقول في تعقيبه على قوله تعالى: (وقالت امرأت فرعون قُرَّة عينٍ لي ولك) سورة القصص:9: "فبه قُرَّتْ عينُها بالكمال الذي حصل لها، وكان قُرَّةَ عينٍ لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضَهُ طاهراً مطهراً، ليس فيه شيء من الخبث، لأنَّه قُبضَ عند إيمانه قبل أن يكتسبَ شيئًا من الآثام، والإسلام يجبُّ ما قبله، وجعله آيةً على عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء، حتي لا يَيْأسَ أحدٌ من رحمة الله".[144] ويقول: "إن فرعون مصيب حينما قال: (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) النازعات:24؛ لأنَّ الله يتجلَّى في صورةِ معبودٍ، كما تَجلَّى في صورةِ فرعَون، ويتجلَّى في صورِ

---

[140]- انظر المصدر السابق ص 4.

[141]- فصوص الحكم - بتصرف- 113/1.

[142]- شرح عبد الرحمن الجامي لفصوص الحكم ص 87، وهو بهامش شرح جواهر النصوص في حلِّ كلمات الفصوص لعبد الغني النابلسي.

[143]- ديوان ترجمان الأشواق ومحاضرة الأبرار ص 43-44.

[144]- فصوص الحكم 201/1.

هادٍ كما يتجلَّى في صورةِ رجلٍ، فكلُّ من عَمِلَ شيئاً فهو على صوابٍ! والذي يمنعُ من عبادةِ شيءٌ فهو كافرٌ! والذي يُخَصِّصُ ويقولُ: لا يُعبَدُ إلاَّ شيءٌ واحدٌ فهو كافرٌ... وإنَّ فرعونَ أُغرِقَ ليزولَ الحسبانُ والتَّوهمُ؛ فإنَّ فرعَونَ قال: (أنَا رَبُّكُمُ الأَعلَى) فخصَّ نفسَه فقط، وكلُّ النَّاسِ أربابٌ، وليس خاصاً به، فلمَّا توهَّم هذا التَّوهمَ أُغرِقَ تَطهيراً له؛ ليزولَ الوهمُ والحسبانُ، حتَّى لا يَتوهَّمَ أنَّه هو الرَّبُّ وحدَه. ويقول: "فنجَّاهُ الله في نفسه، ونجَّى بدنه، فقد عمَّتْهُ النجاةُ حساً ومعنى".[145]

ثالثاً: من أقوال جلال الدين الرومي:

ذهب جلال الدين الرومي إلى أنَّ الأديان جميعاً واحدةً، وأنَّ الإنسان لا إرادةَ له ولا حرية في اختيار أيًّا منها، فهو مجبور في ذلك، والكفرُ أمرٌ لا علاقةَ لإرادة الإنسان به، بل هو أمرٌ قضت به المشيئةُ الإلهيةُ.[146] ومن أشعاره التي تُبيِّن اعتقادَه هذا قوله:

نفسي أيُّها النور المشرق لا تنْءّ عني لا تنْءَ عني
حبي أيُّها المشهد المتألق لا تنَّءَ عني لا تنْءَ عني
انظر إلى العمامة أحكمتَها فوق رأسي
بل انظر إلى زُنَّار زرادشت[147] حول خصري
أحملُ الزنَّار وأحملُ المخلاة [148]
لا بل أحملُ النَّورَ فلا تنَّء عني لا تنَّء عني
مسلمٌ أنا ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي
توكَّلْتُ عليك أيُها الحقُّ الأعلى فلا تنَّءَ عني لا تنَّءَ عني
ليس لي سوى معبدٌ واحدٌ مسجداً كان أو كنيسةً أو بيتَ أصنامِ
ووجهة الكريم فيه غاية نعمتي فلا تنَّءَ عني لا تنَّءَ عني[149]

ومن عجبٍ أنَّ كتابَ المثنوي لجلال الدين المولوي الذي ينعقُ بالكفر الصريحِ تمَّ مدحه من كبار الصوفية، وزعموا أنَّه كتبه بوحي إلهامي، وهذا يدل على موافقتهم لما فيه من شطحات

---

[145]– المصدر السابق 212/1، وأنظر بقية قوله في شأن إيمان فرعون فصوص الحكم 210/1–212.

[146]– .

[147]– هو: زرادشت بن بورشب ظهر في زمان الملك بوبشتاسف بن لهراسف، ادعى النبوة، فآمن به الملك كشتاس بن لهراس، وإليه تنسب الزردشتية، من المجوس الثنوية. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص86–87، الملل والنحل –ط دار الفكر– ص 237–245.

[148]– المخلاة هنا إشارة إلى الهندوسية، فالمخلاة يحملها الهندوس عند الاستجداء والسؤال.

[149]– مجلة العروة الوثقى برئاسة تحرير عبدالحكيم الطيبي، عدد 61، لعام 1403هـ. والتصوف الإسلامي وتاريخه لنيكلسون ص 94.

كفرية. فقال أحد أتباعه وهو طاهر المولوي عن (المثنوي): "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه".[150] وقال عنه عبد الغني النابلسي: "وله – أي كتاب (المثنوي)– من حيث أنه وحي إلهامي، وكلام إلهي سامٍ، نزل به مَلَك الإلهام من حضرة ذي الجلال والإكرام، على قلب الوارث المحمدي والسلام"، وقال في موضع آخر: "ولأنه منظوم بالوحي الإلهامي والترتيب الروحي الصمداني، لا بالحظ النفساني، فهو منسوب إلى الإله تعالى جمعاً وتقسيماً وتبويباً." وسماه النابلسي قرآنا وفرقانا، فقال:

"بكتاب المثنوي طاب الوجود وتوالى كل إنعام وجود
وبه الألباب منا فرحت بعقود هي من أبهى العقود
فهو وحي الله في إلهامه يخرج المطلق من كل القيود
وهو بحر العلم فيه قد سرت سفن الكل إلى دار الخلود
وهو قرآن وفرقان لمن عرف الله على رغم الحسود".[151]

رابعًا: من أقوال ابن الفارض :

يرى ابن الفارض أنَّ الأديان والعقائد كلُّها واحدة، وأنه لا اختلاف بينها إلاَّ من حيث الظاهر، وما هي إلاَّ وسائل لتحقيق غاية واحدة، هي عبادة الإله الواحد، فالإنسان إذاً مطالبٌ بالنظر بعين الجمع إلى الأديان والعقائد فلا يشهدُ فيها كثرةً وتعدداً واختلافاً، تماماً كما ينظر بعين الجمع إلى مظاهر الكون، فما هي إلاَّ عين وجود الحق الواحد.[152]

ووحدة الأديان عند ابن الفارض تقوم على أسس ثلاثة، هي:-

1- أنَّ الأديانَ كلَّها واحدةٌ في جوهرها، لأنَّها تدعو إلى عبادة إلهٍ واحدٍ، وإنْ اختلفت في ظاهرها وصورها.

2- إنَّ الإنسانَ مسلوبُ الإرادة والاختيار، فيما يصدرُ عنه من خيرٍ أو شرٍ، أو من طاعةٍ أو معصيةٍ، أو من إيمانٍ أو كفرٍ.

3- إنَّ توحيدَ الذات الإلهية على الوجه الذي يجعلها مصدراً للهدى والخير فقط ليس توحيداً صحيحاً، بل هو أشبه بالإلحاد، لأنَّ في ذلك إثباتُ ذاتٍ أخرى يصدرُ عنها الضلالُ والشرُ، وهذا شركٌ مناف أحدية الذات الإلهية.[153]

وقد سجل ابن الفارض معتقده في وحدة الأديان قصيدته التائية، يقول:

فَبِيَ مجلسُ الأذكارِ سَمعُ مطالعٍ ... ولي خانةُ الخمارِ عينٌ طليعةِ

150- شرح المثنوي: طاهر المولوي 39/1.

151- الصراط السوي على شرح ديباجات المثنوي: عبدالغني النابلسي.

152- انظر ابن الفارض والحب الإلهي ص 289.

153- انظر المصدر السابق ص 290-291.

وما عَقَدَ الزنَّارَ حكماً سوى يديَّ ... وإنْ حُلَّ بالإقرار بي فَهِيَ حَلَّتِ
وإنْ نارَ بالتنزيل محرابُ مسجدٍ ... فما بارَ بالإنجيل هيكلُ بيعةِ
وأسفارُ توراةِ الكليمِ لقومه ..... يُناجي بها الأحبارَ في كلَّ ليلةِ
وإن خرَّ للأحجار في البدِّ[154] عاكفٌ ... فلا وجهَ للإنكار بالعصبيةِ
فقد عُبِدَ الدينارَ معنىً مُنزهٌ ... عن العار بالإشراك بالوثنيةِ
وقد بلغ الإنذارَ عني من بغى ... وقامت بي الأعذارُ في كلَّ فرقةِ
وما زاغتِ الأبصارُ من كلِّ ملة ... وما زاغت الأفكار في كلِّ نحلةِ
وما اختار من الشمس عن غرة [155] صبا... وإشراقها من نور أسفار غرتي
وإن عبدَ النارَ المجوسُ وما انطفت ... كما جاء في الأخبار في ألف حجة [156]
فما قصدوا غيري وإنْ كان قصدُهم ... سواي وإنْ لم يظهروا عقدَ بيعتي
رأَوا ضوءَ نوري مرةً فتوهموه ..... ناراً فضلُّوا في الهدى بالإشعةِ [157]

في هذه الأبيات بيان لمذهب ابن الفارض في وحدة الأديان: إذ ليس ثَمَّةَ فرق بينها، فالإيمان والكفر عنده سواء. فالنصارى واليهود والمسلمون والمجوس وعبَّادُ الأصنام إنَّما يتفقون في أنَّهم يعبدون إلهًا واحدًا. وإنَّما يختلفون في صور العبادة وأشكالها، إذ ليس هناك دينٌ أفضل من دينٍ، لأنَّها جميعاً صادرةٌ من مصدرٍ واحدٍ. إنَّ عُبَّادَ الأصنام ليسوا ملومين في مذهب ابن الفارض، وأنَّه لا وجهَ للإنكار عليهم، وأنَّ الذين يلومونهم وينكرون عليهم وإنْ كانوا في ظاهرهم منزهين عن الشرك فهم في الحقيقة مشركون لأنَّهم يعبدون مع الله الواحد الدينار، ويُرَتِّبُ ابن الفارض على ذلك أنَّ عابدَ الصنم أقلُّ شركاً من المُنكرِ عليه الذي يُنَزِّهُ عقيدتَه في الظاهر عن الشرك، وهو في الحقيقة مُشركٌ. وأنَّ المجوسَ الذين يعكفون على عبادة النَّارِ لم يعبدوها في الحقيقة، وإنَّما رأَوا نورَ الذات الإلهية مرةً فتوهموه ناراً، فعبدوها، إذاً فهم ضلوا في الهدي بنور الهدي، أي سببُ ضلالهم نور الله نفسه.[158]

---

[154]– البد: بيت الصنم. انظر تهذيب اللغة 77/14.

[155]– الغرة: الغفلة. انظر لسان العرب 16/5.

[156]– يقصد بقوله ألف حجة: ما جاء في روايات التاريخ من أنَّ نار المجوس بقيت مشتعلة ألف سنة، ولكنها خمدت ليلة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.

[157]– ديوان ابن الفارض ص 142–143.

[158]– ابن الفارض والحب الإلهي ص 291–292، وانظر تعقيب عبد الرحمن الوكيل على هذه الأبيات: في كتابه "هذه هي الصوفية" ص 98.

خامساً: من أقوال عبد الكريم الجيلي:

ذهب الجيلي إلى القول بوحدة الأديان، وعدم تباينها على الرغم من الاختلاف الظاهري في صور وأشكال العبادات التي جاءت بها هذه الأديان. يقول في بيان ذلك: "إنَّ العبادةَ تختلفُ اختلافَ مقتضياتِ الأسماء والصفات، لأنَّ الله متجلٍ باسمه المُضلِّ كما هو متجلٍ باسمه الهادي... فبعثَ الله النبيين مبشرين ومنذرين ليعبدَهُ من اتَّبعَ الرسلَ من حيث اسمه الهادي، وليعبده من خالفَ الرسلَ من حيث اسمه المضل. فاختلف النَّاسُ، وافترقت الملُ، وظهرت النِّحلُ، وذهبت كلُّ طائفةٍ إلى ما علمتْهُ أنَّه صوابٌ، ولو كان هذا العلمُ عند غيرها خطأ، ولكن حسَّنه الله عندها ليعبدوه من الجهة التي تقتضيها تلك الصفة المؤثرة في ذلك الأمر، وهذا معنى قوله تعالى: (ما من دابة إلاَّ وهو آخذ بناصيتها) سورة هود:51، فهو الفاعل بهم على حسب ما يريده مرادُهُ، وهو عين ما اقتضته صفاتُه، فهو سبحانه وتعالى يَجزَيَهُم على حسب مقتضى أسمائه وصفاته...".[159]

يتبيَّنُ لنا من أقوال الجيلي السابقة أنَّ الأديان والعقائد وما يتعلَّقُ بها من هدي أو ضلال، أو سعادة وشقاء إنَّما مردُّها المشيئة الإلهية، وفطرة الله التي فطر الناس عليها، وليس لإرادة الإنسان واختياره أيَّةَّ علاقة بالدين الذي بمقتضاه يعبد الله تعالى، وكلٌ في عبادته مصيب ومأجور.[160]

وذهب الجيلي إلى أنَّ كلَّ ما عُبد من دونِ الله فهو إلهٌ معبودٌ على الحقيقةِ لا على المجاز، لأنَّ الله تعالى يتجلَّى نفسُه في هذه المعبودات، فهو عيْنها، فكلُّ معبود منها ظهر الحقُّ في عينه إلهٌ، لأنَّ الله تعالى عينُها، وهو الله حيثما ظَهرَ وتعيَّن استحق الألوهية، فما في الوجود شيءٌ إلاَّ الله تعالى، فهو عيْنُ جميع الموجودات. إنَّ عبَّادَ الأوثان والأصنام وغيرهم من الكفرة والمشركين موحِّدون، وأنَّهم سيحشرون يوم القيامة في زمرة الموحِّدين، لأنَّهم جميعاً ماعبدوا إلاَّ الله وحده، فشركُ هؤلاء جميعا هو عيْنُ التوحيد.[161]

ويقول الجيلي في تفسيره لكلمة الشهادة (لا إله إلاَّ الله): قوله لا إله الاَّ الله: معناه لا إلهَ إلاَّ أنا، أي أنَّ الآلهةَ المعبودةَ ليست إلاَّ أنا، فأنا الظاهرُ في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع، وفي كلِّ ما يُعبدُه أهلُ الملل والنحل، فما تلك الآلهة المعبودة إلاَّ أنا، وأنَّهم ماعبدوا في جميع

---

[159]- الإنسان الكامل 75/2.

[160]- انظر ابن الفارض والحب الإلهي ص 297.

[161]- انظر أقوال الجيلي في ذلك: الإنسان الكامل 64/1، 68-69، 74، 76-77، 77/2، 81-82-، المناظر الإلهية ص 102-103.

ذلك إلاَّ هو، وما يُطلقُ عليه اسمُ الإله إلاَّ أنا، فما في العالم من يُعبدُ غيري، فمَا ثَمَّ من يُطلقُ عليه اسمُ الإله إلاَّ أنا، أي ما ثَمَّ إلاَّ أنا.[162]

ويقول في موضع آخر: وكلمةُ الشهادة مبنيةٌ على سلبٍ، وهي (لا)، وإيجابٍ وهي (إلاَّ)، معناه لا وجود لشيءٍ إلاَّ الله، ولفظة إله في قوله: (لا إله) يُرادَ بها تلك الأوثان التي يعبدونها، وقد سمَّاها الله تعالى إلهاً كما سمُّوها موافقةً لهم لسِرِّ وجوده في أعيانها، فكلُّ معبودٍ من الأوثان – بظهور الحقِّ في عينه– فهو إله، لأنَّه تعالى عينُها، وقوله: (إلاَّ الله)، يعني ليست تلك الآلهة إلاَّ الله، فلا تعبدوا إلاَّ الله على الإطلاق من غير تقييد بجهةٍ، فإنَّه كلُّ الجهات، فما في الوجود شيءٌ إلاَّ الله تعالى، فهو عيْنُ جميعِ الموجودات.[163]

ومن أشعار الجيلي في وحدة الأديان:

وأسلمتُ نفسي حيث أسلمني الهوى ... وما ليَ عن حكمِ الحبيب تنازعُ

فطوراً تراني في المساجد راكعاً ..... وإنّي طوراً في الكنائس راتعُ

إذا كنتُ في حكم الشريعة عاصياً ..... فإنّي في علم الحقيقة طائعُ[164]

يرى الجيلي في شعره هذا أنَّه لا فرقَ بين الإسلام والنصرانية، فحيثما يتجهُ هواهُ يكون دينُهُ، وإذا كانت الشريعة الإسلامية ترى النصارى كفاراً، وأنَّ دينهم باطلٌ، لأنَّ الدينَ الحقَّ عند الله تعالى هو الإسلام، فإنَّ علمَ التَّصَوُف والتحقيق يرى الكلَّ مطيعاً، لأنَّ الأديانُ سواء.

ومن هذا القبيل ما روى الأمير شكيب أرسلان عن أحمد الشريف السنوسي[165] أن عمه الأستاذ المهدي كان يقول له: "لا تحتقرن أحداً، لا مسلماً ولا نصرانياً ولا يهودياً ولا كافراً، لعله يكون في نفسه عند الله أفضل منك، إذ أنت لا تدري كيف تكون خاتمتك".[166] وهذا الكلام غير صحيح من الشيخ السنوسي لأننا عندما نحتقر الكافر نحتقره لكفره، وعندما يسلم نحترمه لإسلامه، ونحن لنا الظاهر، ولكن أثر التَّصَوُف واضح فيه.

إنَّ هذه العقيدة شبيهة بأفكار الماسونية التي تدعو إلى وحدة الإنسانية، وترك الاختلاف بسبب الأديان، فليترك كل واحد دينه وعقيدته، وإنما تجمعنا الإنسانية، دعوة خبيثة ملمسها ناعم، ولكنها تحمل السم الزعاف في أحشائها.

---

[162]– الإنسان الكامل –بتصرف– 59/1.

[163]– المصدر السابق – بتصرف– 87/2.

[164]– ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص 143–144.

[165]– من زعماء الحركة السنوسية التي ظهرت في ليبيا في العصر الحاضر ولهم مواقف ضد الاستعمار الإيطالي.

[166]–حاضر العالم الإسلامي 164/2.

سادسًا: من أقوال جلال الدين الرومي المولوي:

يظهر الجمال الخاطف كل لحظة في صورة، فيَحْمِلُ القلبَ ويختفي، في كل نفسٍ يظهر ذلك الصديق في ثوبٍ جديدٍ، فشيخًا تراه تارة، وشابًا تارة أخرى.... انظر إليه وقد خرج مِن طينة الفخار، وانتشر في الوجود، ظهر بصورة نوح وأغرق الدنيا بدعاء منه... وفي نهاية المطاف ظهر بصورة عربي، ودان له ملك العالم... ذلك الجميل فتان القلوب قد ظهر بصورة سيفٍ في كف علي، وأصبح البتَّار في زمانه، لا لا! بل هو الذي ظهر في صورة إنسان، وصاح أنا الحق، ليس (منصور) – يعني الحلاج– هو الذي صُلِبَ على الدار، ولو ظن الجاهلون خلاف ذلك".[167]

سابعًا: من أقوال بن عامر أبو الفضل عز الدين: توفي غالباً أواخر القرن الثامن الهجري:

ولكيلا ترتاب في أن ما ذكرته لك هو دين الصُّوفِيَّة جميعاً من سلفهم إلى خلفهم ومعاصريهم. أذكر لك دين بعض أصنامهم الصغيرة، فاسمع إلى ابن عامر في تائيته التي عارض بها تائية ابن الفارض، وزنا وقافية، ولطخها بنفس الزندقة الفارضية!

تجلَّى لي المحبوبُ من كلِ وجهةٍ فشاهدته في كلِّ معنى وصورةٍ

وخاطبين منى بكشف سرائر تعالت عن الأغيار لطفاً، وجلت

فقال : أتدري من أنا؟ قلت : أنت يا منادي أنا؛ إذ كنت أنت حقيقتي

قول المسلم: تعالى الله عن شريك. أما قول الصوفي : تعالى الله عن الأغيار، أي ما ثَمَّ غير له، إذ هو عين كل شيء!!.

بهذا بدأ ابن عامر قصيدته، فكان صريح الزندقة فيها!

نظرت، فلم أبصر سوى محض وحدة بغير شريك، قد تغطت بكثرة

تكثرت الأشياء، والكل واحد صفات وذات ضمناً في هوية

ويظل الصوفي يهوى حتى يبلغ القرار السحيق من وحدة الوجود. فأنت أنا ! بل : أنا أنت[1]. وحدة منزهة عن كل غير وشركة [2]

ثامنًا: من أقوال ابن عجيبة: هو أحمد بن عجيبة الإدريسي الفاسي، نسبة إلى فاس بالمغرب توفي في منتصف القرن الثالث الهجري:

وهذا الذي تجرع الفاطمية الخبيثة ينقل في شرحه لحكم بن عطاء الله هذه الأبيات:

---

[167]– في التصوف الإسلامي وتاريخه ص 105–106.

[1] – يقول لربه: أنا أنت وأنت أنا، وإبليس في عتو جحوده وكفره قال لربه: فأنظرني إلى يوم يبعثون" فلم يكفر اللعين كفر الصوفية، إذا اقر بربوبية الله. أما هم فيبهتون ربوبية الله بأنها عبودية شائنة.

[2]– تائية ابن عامر بتحقيق الشيخ المغربي، طبعة دمشق سنة 1948م.

أربٌ وعبدٌ، ونفيُ ضدٍ؟ قلت له: ليسَ ذاكَ عندي

فقال: ما عندَكم؟ فقلنا وجودُ فقدٍ، وفقدُ وجدٍ

توحيدُ حقٍ بتركِ حقٍ وليسَ حقٌ سواي وَحدِي

ويشرحها ابن عجيبة بقوله: "ومعناها الإنكار على من أثبت الفرقَ، بأنْ جعلَ للعبودية محلاً مستقلاً منفصلاً عن أسرار معاني الربوبيَّةِ، قائماً بنفسه، ولا شكَّ أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق، وأنت تقول في توحيد الحق: لا ضد له، فقد نقضت كلامك. ولذلك قال: ونفي ضد؟! فالواو بمعنى: مع، وهو داخل في الإنكار. أي: أيوجد ربٌ وعبدٌ مستقلٌ، مع نفي الضد للربوبية، والعبودية تضاد أوصاف الربوبية؟! والحقُّ أنَّ الحقَّ تعالى تجلَّى بمظاهرِ الجمعِ في قوالب الفرق، ظهر بعظمة الربوبية في إظهار قوالب العبودية، فلا شيءِ معه".[2]

يريد الصوفي الفاطمي الخبيث أن يقول: نحن نؤمن بأنَّ الربوبية لا ضدَّ لها، فإذا آمنا بوجود عبودية تغاير الربوبية في الذات والصفات، فقد تناقضنا ونقضنا ما قلناه، فالذي ينبغي الإيمان به هو الوحدة المطلقة، هو أنَّ العبدَ عينُ الرَّبِّ حتى لا نناقض قولنا: إنَّ الرَّبَّ لا ضدَّ له!!.

تاسعًا: من أقوال مشايخ الطريقة الرفاعية:

من **أوراد الطريقة الرفاعية** ويستعملها غيرهم وفيها إشارة لعقيدة وحدة الوجود الكفرية:

– "اللهم صل على المتخلق بصفاتك، المستغرق في مشاهدة ذاتك، رسول الحق، المتخلق بالحق، حقيقة مدد الحق: (أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ) يونس:53...وقد جعلت كلامك خلقه، وأسماءك مظهره، ومنشأ كونك منه".[3]

– ومنها: "اللهم بك توسلت.. أن تصلي عليه صلاة أبدية ديمومية قيومية إلهية ربانية، تصفينا بها من شوائب الطبيعة الآدمية بالسحق والمحق، وتطمس بها آثار وجودنا الغيرية عنا في غيب غيب الهوية، فيبقى الكل للحق في الحق بالحق".[4]

ويذكر البابلي أحد مشايخ الطريقة الرفاعية: "في الفرق بين علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، فيقول:" الناس في معرفة الحق تعالى، فأهل الحجاب استدلوا حتى حصل لهم العلم اليقيني بوجود الحق، وأهل السير المستشرفين على الفناء في الذات حصل لهم عين اليقين حين

---

[3]– إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص 209 وما بعدها.

- بوارق الحقائق: محمد مهدي الصيادي الرواس ص 326

[4]– المصدر السابق ص 340.

أشرقت عليهم أنوار المعاني، وغابت عنهم ظلال الأواني، غير أنهم باقون في دهشة الفناء، لم يتمكنوا من دوام شهود الحق، فإذا تمكنوا من دوام شهوده، ورسخت أقدامهم في معرفته، حصل لهم حق اليقين وهذه نهاية النعمة وغاية السعادة"[168]. ويقصد بها "وحدة الوجود".

وفي حديث (البابلي) عن الفراسة، يقول: "أنَّ الفراسة الخاصة هي كشف أسرار الذات وأنوار الصفات، والغرق في بحر الأسرار".[169]

تحدث (البابلي) عن مقامات الذكر للعارفين بأنَّه فناءٌ في مذكورهم، ويعني بذلك: تحقيق وحدة الوجود.[170]

وقد ذكر (البابلي) أن الرفاعي كان كثيراً ما يتجلى عليه الله تعالى، حتى يذوب، فيصبح مثل بقعة الماء، ثمَّ تدركه الرحمةُ فيرجع كما كان.[171]

كل هذه الأقوال، وغيرها الكثير، تدل على إيمان الطريقة الرفاعية بوحدة الوجود.

أدلة بطلان عقيدة وحدة الوجود:

أولا: بيان بطلانه من القرآن الكريم:

1- يقول الله سبحانه: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ). الآية واضحة كل الوضوح، لا لبس فيها ولا غموض. فوحدة الوجود تجعل من كل مخلوق جزءًا من الله جل وعلا. وتقرر الآية الكريمة الحكم على الذين يؤمنون بهذه العقيدة الذين يجعلون من عباد الله (سبحانه عما يصفون) جزءًا منه، تقرر الحكم عليهم بالعبارة: (إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ)، التي نفهم منها ما يلي:-

أ- قوله تعالى: (إِنَّ الإِنسَانَ) يدل على أن المؤمنين بوحدة الوجود هم من بني الإنسان فقط، فلا يوجد بين الجن مثلاً، بله الملائكة، من يؤمن بهذه العقيدة الكافرة.

ب- قوله تعالى: (لكفور) على وزن "فعول" وهي صيغة تدل على المبالغة والاستمرار، تعني: إن المؤمن بوحدة الوجود هو شديد الكفر مستمر عليه، يمتنع رجوعه عنه أو يصعب. وتعني: إن شدة الكفر واستمراريته الموجودة في نوع الإنسان تجعله يؤمن بمثل هذه العقيدة.

---

[168]- من حقق الأصول نال الوصول ومن ترك الأصول حرم الوصول في التصوف: عبد الله سعيد البابلي، الطبعة الأولى ص258.

[169]- المرجع السابق ص258.

[170]- انظر من حقق الأصول ص249.

[171]- انظر المرجع السابق ص47.

ج- قوله تعالى: (مُبينٌ) أي: مُظهر للكفر، مُفصح عنه، مُوضح له، وهذا يعني أن الفكرة واضحة الكفر، والذي يؤمن بها مبين للكفر، الكفر ظاهر له وعليه، وذلك؛ لأن الفطرة السليمة (وبعض غير السليمة)، تقشعر رعبًا من سماع هذا التطاول على القدسية الإلهية، وترتجف هلعًا من هذا الغرور الغبي الجريء الظالم، لمجرد سماعها ذلك.

2- يقول الله سبحانه: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ). إنّ وحدة الوجود تجعل الجن جزءًا من الله تعالى، وليس بعد هذا النسب ما هو أقوى منه؛ لأنه نسب بعض الذات إلى الذات. لكن الآية الكريمة تستهجن هذه الفكرة، نفيًا لها ودحضًا، وتنزه الله سبحانه وتعالى عما يصفه هؤلاء الواصفون. وقوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) واضحة الدلالة على أن الجن- لو كانوا يتصلون بنسب إلى الله سبحانه- لما جعلهم من المحضرين. وعدم وجود النسب بينه سبحانه وبين الجنة ينفي وحدة الوجود نفيًا كاملاً.

3- يقول الله سبحانه: (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شيئا)، ويقول: (أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شيئا). الآيتان واضحتان كل الوضوح: إن الله سبحانه خلق الإنسان من لا شيء، من العدم، ولو كانت وحدة الوجود واقعة لكان الإنسان شيئًا قبل أن يوجد، كما هو الآن شيء بعد وجوده. فكون الإنسان خلق من لا شيء أي من العدم، ينفي وحدة الوجود جملةً وتفصيلاً؛ لأن الله تعالى ليس عدمًا، إنه الحي القيوم الخالق البارئ المصور.

4-عشرات الآيات في الكتاب الحكيم تقرر أن المخلوق غير الخالق، منها:-

- (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)، إذن فالأصنام والأوثان (وهي خلق) هي من دون الله تعالى، وليست جزءًا منه، ولا هي هو.

- (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ)، (قُلْ إِنّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ)، (إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ)، (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ).

- ومنها: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)، طبعًا، كانوا يأمرونه أن يعبد أصنامهم وأوثانهم، والآية الكريمة تقرر أنها غير الله، وبما أنها جزء من الخلق، إذن فالخلق غير الله، والمخلوق غير الخالق.

- (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ)، والذي أُهِلَّ به لغير الله إنما أهِلَّ به للأوثان والأصنام ولمن يسمونهم «الأولياء»، وهؤلاء كلهم خلق، والآية الكريمة تقرر أنهم غير الله.

– (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرً)، (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)، (أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّل).. فهذه الآيات تقرر أن المخلوق هو من دون الله تعالى، وغيره، وهي كافية للرد على كل جحود مؤمن بوحدة الوجود، ولو سماها وحدة الشهود.

ثانيا: بيان بطلانه لفساده ودلالته على معتقدات شركية:

1– قول أصحاب وحدة الوجود: أنّ الخلق هو الحق، وأنّ المخلوقات تعينت بالله سبحانه بهذه الأشكال المختلفة، يعني ألاّ يبقي أي معنى للأسماء الحسنى:(الخالقُ، البارئُ، الفاطرُ، بديعُ السماوات والأرض)، التي تعني كلها الإيجاد من العدم. وهذا القول أشدّ بطلاناً كفراً وبُهتاناً، لأنّه يستلزم أن يكون كل جماد وكل ميت هو الله تعالى عما يفترون.

2– لو كانت وحدة الوجود صحيحة، لكان الإنسان جزءًا من الله، ولكانت الآية:(إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) باطلة! ولكان الإنسان في ربح سواء آمن أم لم يؤمن، وعمل صالحًا أم لم يعمل، وتواصى بالحق والصبر أم لم يتواص؛ لأنه جزء من الله. وبما أن الآية الكريمة لا يمكن أن تكون باطلة؛ لأنها وحي من عند الله، إذن فعقيدة الصُّوفِيَّة هي الباطلة، إذ لو صحت عقيدتهم لأصبح معنى الآية: (إن جزءًا من الله لفي خسر)! وهذا واضح البطلان.

3– في القرآن الكريم آيات كثيرة تصبح شتمًا لله تعالى، لو صحت عقيدة الصُّوفِيَّة بوحدة الوجود، مثل قوله سبحانه: (وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) هود:60.لأن عادًا، حسب عقيدتهم الباطلة، هم جزء من الله سبحانه، حيث يصبح معنى الآية الكريمة: إن جزءًا من الله– تعالى عما يصفون– أُتبع في هذه الدنيا؟؟ ويوم القيامة؟!

4– قول الاتحادية أن (لا فاعل إلا الله) يقتضي أن تكون السرقة والزنا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، والظلم هو من فعل الله، تعالى الله عما يقول البرعي علواً كبيراً وهذا ما نفاه الله عن نفسه قال تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا". فتبيَّن أنّ قول الاتحادية "لا فاعل في الوجود إلا الله" من أخبث الأقوال وأبطلها خاصة إذا علمت أن أتباعه يجب عليهم أن يقولوا هذا القول كل يوم.

5– قول ابن عربي لقد حق لي عشق الوجود وأهله يقتضى أنه يعشق إبليس وفرعون وهامان وكل كافر ويعشق الكلاب والخنازير والبول والعذرة، وكل خبيث مع أنه باطل عقلا وشرعا فهو كاذب في ذلك متناقض فيه فانه لو آذاه مؤذ وآلمه ألما شديدا لأبغضه وعاداه، بل اعتدى في أذاه فعشق الرجل لكل موجود محال عقلا محرم شرعا.

6– قولهم بوحدة الأديان: وهو أن كل من عبد صنماً أو حجراً أو شجراً أو شيطاناً هو مصيب لأنها من الموجودات، وهذا من أعظم الكفر الذي يناقض القران قال سبحانه وتعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يّس:60.

فنهى سبحانه عن عبادة الشيطان فدَّل هذا على أنه ليس هو الله وكذلك قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) فصلت:37. فدَّل هذا على أنّ قولهم هو من أبطل الباطل وأعظم الكفر. ومن أعظم المحادّاة لله ولدينه؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه لا يرتضي من الأديان إلا الإسلام، وأنه لا يقبل غيره، قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام) آل عمران:19. وقال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران:85.

وقولهم بأن "فرعون كان مؤمنا وأنه لا يدخل النار، وأنه ليس في القرآن ما يدل على عذابه بل فيه ما ينفيه، هذا القول كفر معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام، لم يسبق ابن عربي إليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة بل ولا من اليهود ولا من النصارى بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون، وهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل، فإنه لم يكفر أحد بالله ويدعى لنفسه الربوبية والإلهية مثل فرعون".[172]

6- ممَّا يدلُّ على بطلان قول الملاحدة القائلين بوحدة الوجود ما ألزم به الدكتور محمود عبد الرؤوف القاسم القائلين بهذا القول في ردّه عليهم وبيانه لباطلهم، قال: "يقول الله سبحانه وتعالى: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) الصافات:158، طبعاً وحدة الوجود تجعل الجنّ جزءً من الله تعالى وليس بعد هذا النسب ما هو أقوى منه لأنه نسب بعض الذات إلى الذات لكن الآية الكريمة تستهجن هذه الفكرة نفياً لها ودحضاً وتُنزّه الله سبحانه وتعالى عمّا يصفه هؤلاء الواصفون، والعبارة "وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ" واضحة الدلالة على أن الجن لو كانوا يتّصلون بنسب إلى الله سبحانه وتعالى لما جعلهم من المحضرين وعدم وجود النسب بينه سبحانه وبين الجنة ينفي وحدة الوجود نفياً كاملاً".[173]

7- يقول سبحانه وتعالى: (وقد خلقتك من قبل ولم تَكُ شيئاً) ويقول: (أَوَلا يَذْكُرُ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً) مريم:67. فالآيتان واضحتان كل الوضوح أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من لا شيء من العدم، ولو كانت وحدة الوجود واقعة لكان الإنسان شيئاً قبل أن يوجد كما هو الآن شيء بعد وجوده، فكون الإنسان خُلق من لا شيء من العدم ينفي وحدة الوجود جملة وتفصيلاً. لأن الله تعالى ليس عدماً إنَّه الحي القيوم الخالق البارئ المُصَوِّر.

8- لو كانت وحدة الوجود صحيحة لكان الإنسان جزءاً من الله، ولكان قوله تعالى: (إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ) باطلاً، وكان الإنسان في ربح، سواءً آمن أو لم يؤمن، وعمل صالحاً أو لم

---

[172]- مجموع الفتاوى: ابن تيمية 279/2.

[173]- حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ: الدكتور محمود عبد الرءوف القاسم ص 704-706.

يعمل، وتواصى بالحق والصبر أم لم يتواصَّ، لأنه جزء من الله. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تصبح شتماً لله لو صحَّت عقيدة الصُّوفِيَّة بوحدة الوجود مثل قوله سبحانه وتعالى:(وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ)هود:60، لأنَّ عادًا حسب زعمهم وعقيدتهم الباطلة هم جزء من الله سبحانه وتعالى حيث يُصبح معنى الآية الكريمة: إن جزءاً من الله تعالى عمّا يصفون أُتبع في هذه الدنيا ويوم القيامة. إذن فوحدة الوجود ضلال وباطل؛ لأن الطريق إليها ضلال وباطل. ثم إن الطريق الذي يتبعه المتصوفة للوصول إلى الجذبة هو طريق الشيطان،(وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا)، (وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا).

ثالثاً: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –أثناء تقسيمه للقائلين بالاتحاد–:"هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:–

الأول: من جهة أنّ أولئك قالوا إنّ الربّ يتّحد بعبده الذي قرّبه واصطفاه بعد أن لم يكونا متّحدين وهؤلاء يقولون مازال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره. **والثاني:** من جهة أن أولئك خصُّوا ذلك بمن عظَّموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ وإذا كان الله تعالى قال: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) المائدة:17. فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانيين والأنجاس والأنتان وكل شيء، وإذا كان الله قد ردَّ قول اليهود والنّصارى لمّا قالوا: (نحن أبناء الله وأحبّاؤه)، وقال لهم: (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ) المائدة: من الآية18، فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه، ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه، وإن كل ناطق في الكون فهو عين السامع كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها). وأن الناكح عين المنكوح".[174]

رابعاً: الهندوس والبوذيون والطاويون والمجوس، كانوا وما زالوا يؤمنون بوحدة الوجود عقيدة وحيدة. وأهل الكتاب كانوا وما زالوا يؤمنون بخالق في السماء، خلق الخلق من العدم مع شرك وتشبيه، وبعض رشفات من الوحدة (ما عدا متصوفيهم طبعًا). فجاء الإسلام ليُعلن كفر أولئك المطلق، ويحرم على المسلمين ذبائحهم والزواج منهم، بينما وقف من اليهودية والنصرانية موقفًا أخف بكثير، وسماهم "أهل الكتاب"، ووسع حدود التعامل معهم (وخاصة مع النصارى)، وأجاز ذبائحهم وطعامهم ومصاهرتهم...فلو كان في دين الإسلام من وحدة الوجود ما يفتريه الصُّوفِيَّة، لانعكست الآية، ولصار النصارى هم الأبعدين، ولصار الهندوس والباقون هم الأقربين.

---

[174]– مجموعة الرسائل والمسائل: ابن تيمية 2/29–31.

خامساً: الأحاديث التي يرويها المتصوفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه في موضوع الوحدة فهي:-

أ- إمَّا مكذوبةٌ! وهم أنفسهم يعرفون أنَّها مكذوبةٌ! ومع ذلك يوردونها دون خوف من الله، وكأنهم لم يسمعوا قول رسول: "من كذَّبَ عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعدَه من النَّار"، وطريقتهم أنَّهم يروونها، ثم يعلقون عليها بعبارة ما، مثل: "تكلموا فيه"، أو: "فيه نظر"، أو ما شابه ذلك، ثم يبنون عليها ما يشاءون من أحكام ظالمة وكأنهم إذا قالوا عن الحديث المكذوب: "فيه نظر"، أصبح من الأحكام الشرعية، وأصبح العمل به شرعيًّا؟

ب- وإما أن يكون حديثهم صحيحًا، لكنهم يلوون عنقه، يؤولونه، ويعطونه معنى ما أنزل الله به من سلطان! وكذلك يفعلون مع الآيات القرآنية. فمثلا: تفسيرهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "من عادى لي وليًّا آذنته بالحرب"، أن الولي هو الصوفي، وقوله في بقية الحديث: "فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه الذي يبطش بها، ورجله الذي يمشي بها" بأنه يعني وحدة الوجود. وقد أشبع العلماء هذا الحديث بحثًا، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن نص الحديث ينفي وحدة الوجود! إذ لو كانت وحدة الوجود موجودة، لكان الله سبحانه عما يصفون سمع الإنسان وبصره ويده وكله! سواء أحبه أم لم يحبه، وقبل أن يحبه وبعد أن يحبه، وفي جميع الأحوال، ولا تكون هناك حاجة لأداء الفروض والنوافل، ولا لأي شيء أبدًا لتحقق ذلك. وكون هذا الوصف: "كنت سمعه...وبصره..." لا يتحقق إلا بعد أداء الفروض والتقرب بالنوافل...ثم بعد أن يحبه الله، يعني بكل وضوح أن هذا لم يكن قبل أن يحبه الله، أي: إن هذه المزية: "كون الله تعالى سمع المرء...وبصره" هي غير متحققة في الإنسان العادي، وبذلك تنتفي وحدة الوجود، وينتفي معها فهمهم الخاطئ. ويكون معنى الحديث: إنَّ الله سبحانه إذا أحبَّ العبد أعانه إعانة تامة في كل شيء، ولا يكله إلى نفسه أبدًا في أي شيء، وطبعًا تكون إعانة الله للعبد كما يريد الله سبحانه لا كما يريد العبد.

موقف الإسلام من مذهب وحدة الوجود:

الإسلام يؤمن بأنّ الله جل شأنه خالق الوجود منزه عن الاتحاد بمخلوقاته أو الحلول فيها. والكون شيء غير خالقه، ومن ثم فإن هذا المذهب يخالف الإسلام في إنكار وجود الله، والخروج على حدوده، ويخالفه في تأليه المخلوقات وجعل الخالق والمخلوق شيئاً واحداً، ويخالفه في إلغاء المسؤولية الفردية، والتكاليف الشرعية، والانسياق وراء الشهوات البهيمية، ويخالفه في إنكار الجزاء والمسؤولية والبعث والحساب. ويرى بعض الدعاة أن وحدة الوجود عنوان آخر للإلحاد في وجود الله، وتعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط، وأن هذا المذهب تكأة لكل إباحي

يلتمس السبيل إلى نيل شهواته تحت شعار من العقائد، أو ملحد يريد أن يهدم الإسلام بتصيد الشهوات، أو معطل يحاول التخلص من تكاليف الكتاب والسنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم: "حتى يبلغ الأمر بأحدهم إلى أن يهوى المردان، ويزعم أن الرب تعالى تجلى في أحدهم، ويقولون: هو الراهب في الصومعة؛ وهذه مظاهر الجمال؛ ويقبل أحدهم الأمرد، ويقول: أنت الله. ويذكر عن بعضهم أنه كان يأتي ابنه، ويدعي أنه الله رب العالمين، أو أنه خلق السماوات والأرض، ويقول أحدهم لجليسه: أنت خلقت هذا، وأنت هو، وأمثال ذلك. فقبح الله طائفة يكون إلهها الذي تعبده هو موطؤها الذي تفترشه؛ وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً. ومن قال: إن لقول هؤلاء سراً خفياً وباطن حق، وأنه من الحقائق التي لا يطلع عليها إلاَّ خواصُ خواصِ الخلقِ: فهو أحد رجلين : إمَّا أنْ يكونَ من كبار الزنادقة أهل الإلحاد والمحال، وإما أن يكون من كبار أهل الجهل والضلال. فالزنديق يجب قتله، والجاهل يعرف حقيقة الأمر، فإن أصر على هذا الاعتقاد الباطل بعد قيام الحجة عليه وجب قتله. ولكن لقولهم سر خفي وحقيقة باطنة لا يعرفها إلا خواص الخلق. وهذا السر هو أشد كفراً وإلحاداً من ظاهره؛ فإنّ مذهبهم فيه دقة وغموض وخفاء قد لا يفهمه كثير من الناس".[175]

ويقول أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى، فيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فهو مذهب متناقض في نفسه، ولهذا يلبسون على من لم يفهمه. فهذا كله كفر باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى".[176] وقال أيضاً: "ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد، أو جاهل ضال".[177]

إنَّ وحدةَ الوجودِ كفرٌ مبينٌ، ومعتقدُها كافرٌ مبينٌ حسب الشريعة الإسلامية، له في الدنيا عقوبة المرتد عن الإسلام، وله في الآخرة عذاب أليم، إلاَّ أنْ يتداركه الله سبحانه بلطفه وعفوه. وأمَّا الصوفي الذي يبطن وحدة الوجود، ويظهر التمسك بالشريعة فهو منافق حقًّا، بل هو شر أنواع المنافقين، ومقامه الحقيقي هو في الدرك الأسفل من النار إن لم يتداركه الله برحمته.

بل فاقوا هؤلاء إبليس اللعين بكفرهم وعنادهم وعتوهم، وقولهم على الله ما لم يقله إبليس، فإن إبليس كان يفرق بين الخالق والمخلوق، وبين الرب الإله القوي القاهر، وبين المخلوق

---

[175]– مجموع الفتاوى 2/378–379.

[176]– المصدر السابق 2/368.

[177]– المصدر السابق 2/367.

الضعيف الفقير المحتاج إلى إلهه، وأمّا الاتحادي ابن عربي ومن على شاكلته فقد جعلوا إبليس وجبريل والأنبياء والكفار والأشقياء، وكل هذه المخلوقات هي عين الخالق وأنه ليس في الوجود غيره، يخلق بنفسه لنفسه، وأنه ليس معه غيره، وأن الكفر والإيمان، والحلال والحرام، والأخت والأجنبية، وإتيان النساء، وإتيان الذكور شيء واحد، وكل هذا عين الرب وحقيقته وأفعاله.

والعقيدة الإسلامية تقرّر: أن الله جل وعلا خلق الخلق من العدم، وقد مرت الآيات الدالة على ذلك، والمخلوقات هي مِن دونِ الله وغيرهُ، أي إنها ليست تعينات من ذاته العلية، عزوجل، وهو سبحانه فوق خلقه: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)، (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ)، والسماء هنا بمعنى: العلو. وهو سبحانه فوق السماوات، بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم معقبًا على حكم سعد بن معاذ في بني قريظة: "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أَرْقِعَة"، والأرقعة هي السماوات، واحدتها رقيع.[178]

قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في ابن عربي: "هو شيخ سوء مقبوح كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً".[179] ويروي ابن تيمية عن الشيخ إبراهيم الجعيري أنه كان يقول: "رأيت ابن عربي هو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله الله"[180]، وقال ابن تيمية[181]: ورأيت بخطه في كتابه(الفتوحات المكية) هذين البيتين:

الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب أني يكلف

ويقول البقاعي قاطعاً الطريق على من يؤول لابن عربي: "قال الأصوليون: لو نطق بكلمة الردة وزعم أنه أضمر تورية، كفر ظاهراً وباطناً".[182]

وقد كفَّر العلماء القائلين بوحدة الوجود لما يلي:

1- إنَّ مذهب وحدة الوجود باطل عقلاً، فمن عرف حقيقته عرف بطلانه بداهة، لأنَّه لا يعقل أن يكون الإنسان هو الله، والحجر هو الله، والشجر هو الله، كما لا يعقل أن يكون الإنسان هو الحجر وهو الشجر، فشتان بين مخلوق ومخلوق، وشتان بين خالق ومخلوق.

2- إنَّ ما جاءت به الرسل يقتضي المغايرة بين الخالق والمخلوق.[183] وقد جاء على ألسنتهم الاستنكار على من عبد غير الله أو أمر بعبادة غير الله قال تعالى: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي

178- الكشف عن حقيقة التصوف: للأستاذ عبد الرءوف القاسم- بتصرف يسير- ص 703- 711.

179- الفتاوى لا بن تيمية 240/2.

180- نفس المصدر 240/2.

181- مجموع الفتاوى 242/2.

182- تنبيه الغبي في كفر ابن عربي:زين الدين البقاعي ص23.

183- انظر الفتاوى 475/2.

أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) الزمر 64. وقال: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) الأنعام 14. وقال:(هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) فاطر 3. وقال: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) الأنعام 114.

3- أجمع المسلمون على مر العصور باختلاف تخصصاتهم سواءً كانوا من العلماء أم من عوام الناس، وسواءً كانوا صالحين أو فاسقين، أو طائعين أو عاصين-عدا هؤلاء غلاة الصُوفِيَّة الكفرة- على أن الله هو الخالق وما سواه مخلوق، وأنه سبحانه لا يحل في المخلوقات ولا تحل فيه وأن الله مباين لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله.[184]

4- الاتحاد والوحدة بين الخالق والمخلوق محال لأن في اتحادهما إما أن يتحولا إلى شيءٍ ثالث مغاير لهما، أو يبقيا كما هما فليست بوحدة، أو يبقى أحدهما وينعدم الآخر فيه فليس اتحاد ولا وحدة. وإذا انعدم أنْ يتحدَّ العبدان المربوبان فهل يصح ذلك في حق الخالق.

5-مذهب الصُوفِيَّة مركب من سلب الجهمية وتعطيلهم بل هو أشنع من ذلك، لأن الجهمية سلبوا كمال الله المقدس فنفوا الصفات والأسماء وأثبتوا العدم، لكن أهل وحدة الوجود عبدوا كل شيء، وقولهم مركب من كلمات الصُوفِيَّة المجملة والشَّطحات وأقوالهم في حال الغيبة والسكر...ومن أقوال الفلاسفة والزنادقة التي تعتبر أقوالاً باطلة تدل على الإلحاد، كقولهم بالوجود المطلق، والوجود الواحد، وأزلية الكون.[185]

6- القائلون بوحدة الوجود أكفر من اليهود والنصارى: فإذا قال النصارى: إن الله هو المسيح بن مريم قال غلاة الصُوفِيَّة: إن الله هو كل شيء، وإن الله هو الكفار والمنافقون والأرجاس والمجانين والصبيان، وإذا كفَّر الله النصارى بقولهم إن الله ثالث ثلاثة، وإن الله هو المسيح بن مريم، فكيف بمن زعم أن الله هو كل شيء، ويتجلى في صور العاشقات والمعشوقات ؟ فهو أشدُّ كفراً من النصارى.

يقول ابن تيمية: "واعلم أن هؤلاء لما كان كفرهم في قولهم: أن الله هو مخلوقاته كلها أعظم من كفر النصارى بقولهم: (أن الله هو المسيح بن مريم) فكان النصارى ضلال أكثرهم لا يعقلون مذهبهم في التوحيد إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل، حيث يجعلون الرب جوهراً واحداً ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والأشخاص التي هي الأقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر، فيتناقضون مع كفرهم، كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قول رؤوسهم ولا يفقهونه، وهم في ذلك كالنصارى، كلما كان الشيخ أحمق وأجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم، ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى".[186]

---

[184]- الفتاوى 339/2.

[185]- انظر مجموعة الرسائل والمسائل 182/1، 26/4.

[186]- انظر مجموعة الرسائل والمسائل 182/1، 35/4.

وإذا عاب الله على اليهود قولهم "نحن أبناء الله وأحباؤه" فكيف بمن يزعمون أن اليهود والنصارى والمجوس وكافة الكفار هم أعيان الله ووجودهم هو وجود الخالق وليسوا غيره ولا سواه؟ [187] فإنَّهم أشدُّ كفراً من اليهود.

7- أقوال الصُّوفِيَّة الدالة على وحدة الوجود مضطربة متناقضة: فقولهم: (إن الكون وما فيه من مخلوقات هي مظاهر الحق) يتناقض، لأنَّه إن كان الظاهر هو المظاهر فنفي للموجودات المتعددة، وإن كان الظاهر غير المظاهر كانت المغايرة وانتفت الوحدة المزعومة. ويقصدون بالظاهر الله وبالمظاهر الموجودات.

وقول ابن عربي: "لقد حق لي عشق الوجود وأهله" أن يعشق كل شيء إبليس وفرعون والنجاسات والخبائث والكلاب والخنازير، فهذا مناقض للشرع والعقل، ولو آذاه مؤذ وآلمه ألماً شديداً لامتنع من عشقه".[188]

فإذا كان الوجودُ واحداً: فالزوجةُ عينُ الأمِ، والأختُ، فكيف حُرّمِت هذه وحلَّت الأخرى، وفي الوجودِ الظالمُ والمظلومُ، وإذا كان هذا عينٌ هذا، فكيف يُحاسبُ الظالمُ ولا يُحاسبُ المظلوم؟؟.

لقد كان أحد القائلين بالوحدة يتكلم عن وحدة الوجود ويقول: من قال إنَّ في الكون سوى الله فقد كذَبَ. فقال له آخرُ فمنِ الذي كذِبِ؟ فأفحمه.[189] يعني إذا كان ما في الوجود هو الله، فالذي كذَبَ هو الله – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- حيثُ يؤمنُ القائلون بالوحدةِ بأنْ لا فرقَ بين الخالقِ والمخلوقِ، وبينَ المُؤمنِ والكافرِ، وبين المُصدِّقِ والمُكذِّبِ، فالكل سواء.

المحاذير المترتبة على القول بوحدة الوجود:

1- إبطال حقيقة التوحيد:

إنَّ القول بوحدة الوجود لا وجودَ معَه للتَّوحيدَ الذي دَعت إليه الرسل عليهم السلام، لأنَّه لا فرقَ بين الخالقِ والمخلوقِ، والموحِّدِ والمشركِ، ويمتنع مع القول بالوحدة المطلقة أن يكون الله خلق شيئاً، لأنَّ الأشياء ذاتهُ.. وهذا مخالف لصريح القرآن وصدق الله تعالى إذ يقول: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) الطور:35، لأنَّه من المحال أن يوجَد الشيء من العدم، أو يوجِد ذاته فلابدَّ للموجودِ من واجدٍ، ولابدَّ للمخلوق من خالقٍ، ولابدَّ للجائزِ من واجبٍ. ولا يُعقلُ أنْ يكونَ المالكُ هو المملوكُ، والرَّازقُ هو المرزوق، ولا العابدُ هو المعبود.

2- إبطال عقيدة الولاء والبراء: لأن هذه العقيدة قائمة على أن الدين عند الله الإسلام، وما سوى ذلك فليس ديناً عند الله تعالى، قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

---

[187]- المصدر السابق 4/28،25.

[188]- المصدر السابق 1/77،78.

[189]- مجموع الفتاوى 2/305.

وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ) آل عمران 85. وتجب المحبة والولاء لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ولا تجوز لغيرهم قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) المائدة:51.

وقال تعالى: (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) المجادلة 22. وقد امتدح الله إبراهيم عليه السلام والذين معه بقوله تعالى: (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) الممتحنة:40، أمَّا عقيدة وحدة الوجود فقائمة على موالاة كل شيء وكل مخلوق وعدم معاداة أحد في الوجود لأن كل ما في الوجود هو الله، وكل من تواليه إنما توالي الله تعالى. وهذا مناقض لعقيدة الولاء والبراء في دين الله تعالى.

3- **القول بإيمان فرعون:** يزعمون أنَّ فرعون عرف الحقيقة وآمن بالوحدة في قوله (أنا ربكم الأعلى)، لأنَّ الجميع أرباب عنده لكنه هو الأعلى لأنَّه الحاكم. وفي قوله (وما علمت لكم من إله غيري)، وقد علم بالضرورة في دين الإسلام كفر فرعون وهامان.. وقد ورد ذكر ذلك بصريح القرآن قال تعالى: (وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمْ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) هود:97-98، وقال تعالى: (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)غافر 45-46.

ولم يقصّ القرآن قصة كافر باسمه كما قص لنا قصة فرعون من الوضوح والبيان والتفصيل والتكرار.[190]

ومعنى أن فرعون يقدم قومه في النار لا أنه يسوقهم بل يكون في مقدمتهم، وقوله تعالى أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، يدخل فيهم فرعون لأنه هو زعيمهم في الكفر، وليس المراد آله دونه.

4- تعطيل شريعة الإسلام وحدوده: فالقول بوحدة الوجود فيه تعطيل لشريعة الإسلام، إذ يترتب عليها أن جميع الآلهة والمعبودات سواء، لا فرق بين من عبد الله ومن عبد الطاغوت أو الشيطان أو الحجر والشجر. وهو دعوة إلى الإباحية والفساد فلا فرق بين ما حُرم وما أبيح لأن الخمر عين الماء، والزوجة عين البنت والأم عين الأجنبية، بل عين الدابة فلا فرق عندهم بين من شرب خمراً أو شرب ماءً، ولا فرق بين من واقع زوجته أو واقع أمه وابنته أو دابته فكله سواء عندهم.

وقولهم يؤدي إلى تعطيل الحدود لأن القاتل هو عين المقتول، والسارق هو عين المسروق بل عين السرقة، والفاعل هو عين المفعول به وكلهم عين الله وذاته. وتعطيل للعبادة فكل

---

[190]- انظر مجموع الفتاوى 124/2.

معبود هو الله وكل عابد هو الله تعالى، والمأمور به عين المنهي عنه فلا عبادة ولا شريعة ولا قيود.

5- تخطئة الرسل عليهم السلام: فإذا كان الوجود واحداً والمعبود واحداً مهما كانت الصورة التي عبد فيها، فكيف قاتلت الرسل عليهم السلام وأتباعهم أعداء الله؟ وكيف استباحوا دماء الكفار؟ وما الموقف من التاريخ الإسلامي الطويل المليء بالجهاد في سبيل الله؟ وما حكم من قتلوا بسبب كفرهم؟ وما حكم قاتليهم؟ بل وما فائدة وجود النار يوم القيامة؟ وما فائدة وجود الجنة؟ وما فائدة البعث؟

فبناءً على معتقد القائلين بوحدة الوجود يكون الرسل عليهم السلام جميعهم على خطأ، فيما دعوا إليه من توحيد وتكاليف، وأحكام، وحدود وجهاد. وهذا الكلام هو صريح الكفر والضلال.

6- إبطال الحكمة من الخلق: قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات:56، فإذا كان القول بوحدة الوجود، يؤدي إلى إبطال العبادة، فما هي الحكمة من الخلق؟

والله عز وجل لم يخلق الخلق عبثاً، قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) المؤمنون:115، بل خلق الله الخلق لحكمة، خلقهم لعبادته، وخلق الجنة ليثيب أولياءه، وخلق النار ليعاقب أعداءه. وإذا كان المخلوق الناقص يترفع عن العبث ويحرص أن تكون أفعاله مبنية على حكمة وغاية سامية، فكيف بالخالق الذي يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص. فإن كل كمال لا يعتريه النقص بوجه من الوجوه يتصف به الخالق. وكل كمال يتصف به المخلوق لا يكون كمالاً مطلقاً بل يعتريه النقص من أحد الوجوه.